الديمقراطية في الجامعات العربية

منير السّعيداني(*)

أستاذ علم الاجتماع بالمعهد العالي للعلوم الإنسانيّة، جامعة تونس المنار.

تقديم

يمكن التأريخ للتّفكير العالميّ في المسؤوليّة المدنيّة للجامعة بتطوّراته الأخيرة مجسدة في مؤتمرات اليونسكو الإقليميّة لشرق آسيا والباسيفيك (٢٠٠٨) ولأمريكا اللاتينيّة (٢٠٠٨) وللوطن العربيّ (الأمين، ٢٠١٠) وصولاً إلى المؤتمر العالميّ الّذي احتضنته باريس (٢٠٠٩)[١].

عربيّاً، وقبل انعقاد المؤتمر الإقليميّ، كان إعلان تالوار (٢٠٠٥)[٢] الذي اشتركت فيه خمس جامعات عربيّة وتلاه تكوين تحالف «مَعاً» الّذي يجمع ١١ جامعة عربيّة موقّعة على الإعلان[٣].

بالاستناد إلى هذا السياق من تأصيل قضيّة المسؤوليّة المدنيّة للجامعة تبحث الورقة الحاليّة في الدّيمقراطيّة في الجامعات العربيّة. وبعد مراجعة سريعة للأدبيّات ذات الصّلة نخلص إلى وضع الإشكاليّة الّتي نعالج ونخصّص للمنهج الذي نعتمد في البحث فقرة مختصرة في بداية كل قسم من أقسامه الثلاثة، مستندين إلى التوجّهات المنهجية العامة لمشروع الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية لدراسة «المسؤولية المدنية للجامعات العربية».

الأقسام الثلاثة مخصّصة لعرض نتائج البحث ومناقشتها وذلك بالتركيز على تجسّدات الدّيمقراطية تصوّراً في خطابات الجامعة عن نفسها، وممارسةً في أنشطتها الأكاديمية وغير الأكاديمية، وفي مناهجها وبرامجها ومقرراتها الدراسية.

(*) البريد الإلكتروني: mounir.saidani58@gmail.com.

(١) <http://www.unesco.org/new/ar/education/themes/strengthening-education-systems/higher-education/single-view/news/unesco_world_conference_on_higher_education_to_address_global_challenges/#.VQwBZNKG9BE>

(٢) <http://talloiresnetwork.tufts.edu/who-we-ar>, and <http://talloiresnetwork.tufts.edu/who-we-ar/talloires-declaration>.

(٣) <http://www.aucegypt.edu/academics/maan/Pages/default.aspx>.

أوّلاً: في حصيلة البحث في علاقة الجامعة بالدّيمقراطيّة

١ ـ في المجتمعات العربيّة والمجتمعات «الشّبيهة»

تتناول الدراسات العربيّة الأولى لعلاقة الجامعة بالديمقراطية بعض مظاهر الدّيمقراطية المنقوصة في الحياة الطلابيّة خاصّة والجامعيّة العربيّة عامّة. ويربط هذا النّوع من الدّراسات بين «نزعة سلطويّة في التّربية مبنيّة على قيم تسلّطية» من جهة والأنظمة التربويّة التي تتأثّر بتلك القيم تأثّراً منافياً لبناء الدّيمقراطية وإشاعتها من جهة أخرى. مقابل ذلك اعتبر بعضٌ آخر من الدّراسات غياب الأداء الدّيمقراطيّ في الجامعات العربيّة فرعاً من غياب الدّيمقراطيّة في المجتمع عامّة كما ورد في دراسة خصصت لجامعة القادسية الواقعة في الديوانية بالعراق (عودة وكاظم، ٢٠٠٩). وعلى هذا الأساس تلحّ بعض الدّراسات على الدّور «الطلائعي» الذي اضطلعت به الجامعة في ترسيخ الدّيمقراطيّة في تدبير شأنها الخاصّ، وفي تكوين نخب المجتمع القائدة أو ـ والحاكمة بتربيتها على الدّيمقراطية (كنداني، ٢٠١٤).

وفي نوع ثانٍ من البحوث في علاقة الجامعات العربيّة بالدّيمقراطيّة، وبالانطلاق من المثال الأردني، تركيز على مقوّمات الحياة الجامعيّة الدّاخلية وموقع الطالب منها وقضايا الحرّيات الأكاديميّة ومنها الحرّيات الطّالبيّة (الحسيني، ٢٠١٢). وقد اتّبعت بعض الدّراسات في ذلك مناهج كمّية قاست مدى ارتباط الأداء الدّيمقراطيّ لدى الطّلبة بمتغيّرات من قبيل الجنس، والتخصّص الأكاديميّ، والمستوى الدّراسيّ، والدّرجة العلميّة كما ورد في دراسة خصصت لجامعة اليرموك بسورية (السلس وعليمات، ٢٠١٠). ولكنها لم تعتمد تأطيراً مفهوميّاً يُحيل على «الفضاء العموميّ الجامعيّ» مثلاً أو تأطيراً نظريّاً يعتبر الدّيمقراطيّة في الجامعة واحداً من مداخل بناء مسؤوليّة مدنيّة للجامعة.

في موجة جديدة من البحث في علاقة الدّيمقراطية بالجامعة ربطت بعض الدّراسات بين عمق الممارسة الدّيمقراطيّة في الجامعة ومدى استقلال هذه عن السّلطة السّياسيّة، وذلك انطلاقاً من المثال التونسي وباعتماد مؤشّرات على متغيّر استقلاليّة الجامعة (الحرّيات الأكاديمية، الاستقلاليّة الإداريّة والماليّة،...) ومتغيّر الممارسة الدّيمقراطيّة (كيفيّة إدارة مناقشات «المجال العموميّ الجامعيّ»، والعمليّات الانتخابيّة داخل الجامعة) (السعيداني، ٢٠١٤). أميرة بابكر بدري مثلاً، وفي دراستها التي خصصتها لجامعة الملك عبد العزيز في جدة بالسعودية، أكّدت أنّ مفهوم المسؤولية ظلّ عسير الرّبط بمفاهيمَ أخرى مُجاورةٍ وذلك جرّاء التركيز على المسؤولية المدنية في معنى الأعمال الخيريّة التّطوّعيّة أو المشاريع الخدميّة لفائدة المجتمع أو بإحالة تلك المسؤولية المدنية على ممارسة «تستجيب لأمر شرعيّ». وبذلك غاب التركيز على قضايا بعينها ومنها الديمقراطية (بابكر بدري، ٢٠١٥: ٢٧٩).

في غير المجتمعات العربية، ثمة إطار مخصوص للبحث في علاقة الجامعة بالدّيمقراطيّة في بعض تجارب إعادة البناء الوطنيّ لما بعد الحِقب الدّكتاتوريّة كما في مثال نيجيريا (Arikewuyo, 2004). تبدو الأطر الدّستوريّة مركزيّةً في ما يُرسم للجامعة من «وظائف» في مسارات البناء الدّيمقراطيّ العام في مستويَيْ بناء آليّات التّسيير الدّيمقراطيّ والحَوْكَمَةِ داخل الجامعة، ومساهمتها في تعزيز المسار الدّيمقراطيّ على امتداد الحياة السّياسيّة. وقد انتهت بعض هذه البحوث إلى أن تغيير أساليب التّسيير الجامعيّ الدّاخلي ضروري حتّى تنسجم مع المبادئ الدّيمقراطيّة ممارساتٌ محمودةٌ من قبيل الانتخاب والمساءلة وتعزيز الحرّيات الأكاديميّة ... وكذا التزام الجامعة مدنيّاً (Arikewuyo, 2004).

٢ ـ في المجتمعات «الدّيمقراطيّة»

في المجتمعات «راسخة الدّيمقراطيّة»، تتعلّق مسائل الحوكمة بالتّغيّرات التّاريخيّة لعلاقة الجامعة بالمؤسّسات الصّانعة للقيم الرّمزيّة (الكنيسة مثلاً) من جهة وبمؤسّسات الحُكْم من جهة أخرى (الحكومة أو البرلمان مثلاً). وتبيّنُ تجارب طويلة المدى التّاريخ، كما في الحالة الدنماركية مثلاً، أنّ الاستقلال التامّ للجامعة ييسّر تحويل قرارات هياكلها إلى فراغ عمليّ جرّاء عدم احتكامها على مقدّرات سياساتها الحرّة (Jensen, 2010). في مقابل ذلك، يُظهر إحكام سيطرة السّلطة السّياسيّة على الجامعات، بحيث تكون قابلة للمساءلة على أساس الإنجاز والمردود والعائد، أن استقلاليّة الجامعة وضعٌ لا يمكن لهيئاتها الدّاخلية المنتخبة ديمقراطيّاً أن تتحمّل وزره بِيُسْرٍ ولا للحكومات أن تقبل أثر عَدْوَاه المُمْكنة (White, 2013).

في دراسات أخرى، يتمّ الرّبط المُتَوَجّس بين ما تضعه التّشريعات من حدودٍ للحرّيات الأكاديميّة وشروطٍ لمسؤوليّات إطار التّدريس في سياقات الارتباط الآليّ بين الاشتغال الرّأسماليّ لسوق المعرفة العلميّة ومُخْرجات الجامعة كما لوحظ ذلك في الحالة الفرنسية مثلاً (Dacheux, 2013). ومن تلك الدراسات يتّضح أنّ التّصرّف العموميّ في الشّأن الجامعيّ الذي يلح على المردوديّة والقياس الكمّي للأداء يتّجه إلى إرضاء مقاييس سوق المعارف المُسَلْعَنَة، فائقة المخاطر وعالية وتائر المنافسة بما لا يترك مجالاً لحرّيّة حقيقيّة ويضيّق على الفضاء العموميّ الجامعيّ. وهو ضيق يُترجم في تناقص أثر الجامعة الدّيمقراطيّ في الفضاء العموميّ (Dacheux, 2013) حيث لا تتوافر فيها للطّالب مثلاً مجالات التّداول والنّقاش والمُناظرة والتدرّب على المُشاركة في اتّخاذ القرار والتّسيير (Sundberg, 2008).

في بعض الدّراسات الأخرى يبدو التزام الطلّاب ومشاركتهم (PDE, 2015) دخليْن لتعلُّم المواطنة من خلال الأنشطة الحرّة والمبادرة والتمثيليّة في الهيئات التّقريريّة والتّنفيذيّة. وتنفتح هذه الممارسات على ديمقراطيّة مُشَارِكَةٍ ضمن فضاءات حوارٍ داخل الفضاء العموميّ الجامعيّ (PDE, 2015). وتركّز بعض البحوث في العلاقة بين الدّيمقراطيّة

والجامعة على النّظر في الإمكانات المُتاحة أمام الأكاديميّين الباحثين عن الرّبط بين أداء الجامعة ومسؤوليّتها المدنيّة (Association of American Colleges and Universities (AACU), 2015). يتعلّق الأمر بتوفير ما يُمَكّن الطالب مَعْرفةً ومهارات وقِيَماً وفعلاً جماعياً من «مُواطنة معرفيّة» تتواءم مع ديمقراطيّة أكثر فأكثر عَوْلَمَةً وتنوّعاً والتزاماً كونيّاً (AACU, 2015).

فكرة المواطنة في هذا الاتّجاه مركزيّة (Boyte, 2014) بحيث تؤدّي إلى اعتبار العلم ومنتوجاته الأكاديميّة خيْراً عموميّاً. وتتعزز تلك المواطنةَ بأثر ما تنجزه الجامعة من عِلْم منتبهٍ إلى مسؤوليّاته المدنيّة في معنى اتّصاف الجامعة بالمِهَنيّة ذات البُعْد المدنيّ الواعي. ويعني ذلك إضفاء الصّبغة الدّيمقراطيّة على التّعليم ومنه الجامعيّ واحتلالَ الجامعة موْقعاً مركزيّاً في مجابهة تحدّياتٍ من قبيل التّغيّر المناخيّ ومخاطر اللّامساواة والفوارق الاجتماعيّة المتفاقمة... (Boyte, 2014).

تنبني بعض التّحليلات الأخرى على اختزان العلوم الطّبيعيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة منابع للنّفوذ السّياسيّ (Jewett, 2014) استناداً إلى أنّ الممارسة العلميّة مقرونة بقيم إيتيقيّة كفيلة بصناعة ثقافة ديمقراطيّة. في هذا المعنى يكون البحث العلميّ الحرّ أساسيّاً في بناء معرفةٍ قابلة للتّرجمة تكنولوجيّاً تكون مصدراً للتّغيير الثّقافي العامّ في اتجاه الدّيمقراطيّة. ولكن يمكن لذلك أن يتصادم مع التّوجيه الحكوميّ أو الحزبيّ الذي يسعى إلى تحديد التّغيير وتجييره نحو وُجهات غير ديمقراطيّة بالضّرورة بفعل ضغط قُوًى اقتصاديّة أو اجتماعيّة معيِّنة على السّياسات العموميّة الجامعيّة والبحثيّة ضغطاً سالباً (Jewett, 2014).

في مستوى المنهج، عوّلت الكثير من الدّراسات على دراسات الحالة كمّياً خاصّة، وعلى المتابعة التاريخيّة والدّراسات المقارنة (Ostrander, 2004) بين سياقات تاريخيّة وأوضاع مجتمعيّة متباينة، وذلك باعتماد المسوح الميدانيّة والمقابلات والاستجوابات وتحليل البيانات والمعطيات وبالاستناد إلى مراجعات معمّقة للأدبيات. ورَشَح من ذلك تباينٌ واضح في جوانب الالتزام المدنيّ للجامعات تَبَعاً للأوضاع الخاصّة وعلى الأخص في ما يهم علاقته بالديمقراطية.

من خلال كلّ هذه الدّراسات، يبدو تأسيس الدّيمقراطيّة وبناء المجتمع المدنيّ من طريق استخدام الجامعة مشروطاً بترسيخ المعرفة الأكاديمية ضمن الشّروط المجتمعيّة والرّبط بين المعرفة والممارسة المجتمعيّة عامّة وتشبيك علاقاتٍ أوثقَ بين الأكاديميين والممارسين الاجتماعيّين من كلّ صنفٍ. ويعني ذلك أن الالتزام المدنيّ الدّيمقراطيّ للجامعة يكون في منظورٍ حيٍّ ومُتحرّكٍ وملتزمٍ يأخذ بنظر الاعتبار رؤيةَ الجماعة المحلّية ومصالحَها في آنٍ مَعاً (Ostrander, 2004).

ثانياً: في الإشكاليّة

تفيد المُرَاجعة السّابقة أنّ علاقة الجامعة بالدّيمقراطيّة مسألة يتوزّع فاعلوها بين الهيئة التّعليميّة، والطلّاب، والإدارة الجامعيّة، والممولّين، والمستفيدين من الخدمة المعرفيّة، وفاعلي سوق المعرفة العلميّة، ومكوّنات المجتمع المدنيّ، وجماعات المجتمع المحليّ، والسّلط السّياسيّة الحاكمة. وعلى ما استخلصنا، يَعتبِر المفهوم الإجرائيّ للدّيمقراطية الجامعيّة الّذي تعتمده هذه الدراسة أنّها (الدّيمقراطيّة) تكون قائمةً بقدر توافر تقعيد قانوني عُرْفيّ أو مَكْتُوبٍ يضمن وُجُوداً داخل الجامعة لنِظَامٍ فِعْلِيٍّ وصَرِيحٍ ومُتَكَامِلٍ من السّلطات والسّلطات المُضادّة بحيث تُتَاحُ أوسع مشاركة ممكنة لكلّ ذَوِي المصْلحة في إدارة الشّأن الجامعيّ بكلّ مُكوّناته من جهة وفي إدارة علاقة إِفَادَةٍ واستفادةٍ بين الجامعة وبيئتها الاجتماعيّة في معناها الأوسع من جهة ثانية (Kahn et Pecresse, 2011). تفصيلياً، اعتمدنا خمسة معان تفصيلية نرى أنّها تجسّد الديمقراطية في دلالات نبحث عنها في ما يصدر عن الجامعات العربية من خطاب وما تمارسه من أنشطة وما تدرسه من برامج:

ـ الدّيمقراطية ذاتها بوصفها لفظاً جامعاً للمعنى المُسْتَقْصَى، مع تنويعاته الممكنة من قبيل: ديمقراطيّ، دَمَقْرَطَة، ممارسة ديمقراطيّة، سلوك ديمقراطيّ، هيئة ديمقراطيّة، سياسة ديمقراطيّة، انتخاب، تمثيل، هيئات، روابط، نقابات، نوادٍ، تفويض، حياة جمعياتية... إلخ.

ـ الحرّية بما هي حرّية الأفراد والمجموعات والهيئات والأطر التّمثيليّة داخل الجامعة مع تنويعات ممكنة: من قبيل حرّية، تحرّر، تحرّري، ليبراليّ، تداول، نقاش، رأْيٌ... إلخ.

ـ الحرّيات الأكاديمية كما تتوافر للأفراد والمجموعات والهيئات التّعليميّة والعلميّة في معنى اختيارهم أو اختيارها اختياراً حرّاً لمساراتهم أو مساراتها وبرامجهم أو برامجها ومسيّريهم أو مسيّريها أو انتخابهم ولكيفية تسيير شؤونهم وشؤونها وكذا حرّية القيام بالأبحاث الأكاديمية ونشرها، ... إلخ.

ـ مشاركة الأفراد والمجموعات والهيئات والأطر التّمثيليّة داخل الجامعة مع التنويعات الممكنة من قبيل: تشاركيّ، شُرَكَاء، ... إلخ وذلك في ما يهمّ رسم السّياسات، واتّخاذ القرارات، ومتابعة التّنفيذ، ومساءلة الفاعلين، وحلّ النّزاعات، واتّخاذ القرارات... إلخ.

ـ فضاء عموميّ جامعيّ بما هو فضاء يتمّ فيه تداول (نقاش عامّ، اقتراح، ... إلخ) الشّأن الجامعيّ الخاصّ، والشّأن المجتمعيّ العام بحرية، وإقامة المجادلات، ومناقشة السياسات... إلخ.

بهذه التّحديدات يكون سؤال البحث: هل يوجد ما يدلّ على تتوافر الدّيمقراطية في خطاب الجامعات العربية؟ وفي ممارساتها؟ وفي مقرّراتها ومناهجها الدّراسيّة؟

بفضل العمل الاستقصائيّ الذي قامت به الهيئة اللبنانيّة للعلوم التّربويّة تمّ تجميع بيانات تهمّ الدّيمقراطية في خطاب الجامعات العربيّة من المواقع الإلكترونيّة لعيِّنة من ٣٦ جامعة عربيّة في ١٨ بلدا عربيّا. تكونت لدينا مادّة تحليل فيها أمثلة مدقّقة وموثّقة عن كلّ دلالة مجرودة من دلالات الدّيمقراطيّة مع تحديد اسم الجامعة وهويّة المتكلّم، ووتيرة ظهور كل دلالة تبَعاً لهوية أصحاب الخطاب ولطبيعته (رسالة الجامعة، رؤيتها، الأهداف، الخطّة، ...) ثم حسب القطاع الجامعيّ (رسميّ (حكومي) وخاصّ) ثم حسب البُلدان.

بعض مواقع جامعات العيِّنة ذات صفحات قليلة[٤] ليست بها إلا معلومات عامّة، ولبعضها الآخر مواقع بها خطابات متكاملة تصدر عن الجامعة وعن مؤسساتها (الكلّيات والمعاهد العليا) وأقسامها برؤيتها ورسالتها وقِيَمها وأهدافها[٥]. ثُلُثَا الجامعات العربيّة تكتفي بالموقع الإلكتروني الرّسميّ، والثلث المتبقّي يعرض وثائق أخرى أهمّها ما يدلّ على توجّه «استراتيجي»[٦] (منها «خُطّة استراتيجيّة»[٧]، تكون موضوعة لمدّةٍ زمنيّةٍ مُعيَّنة[٨]، أو مشروع تطويرٍ[٩]، أو خطة «تنفيذيّة»[١٠]، تكون مخصوصة بمجال معين للمُناقشة[١١]، أو «فلسفة»[١٢]،

(٤) لا يتجاوز محتوى موقع جامعة الجزائر ١ (حكومية) صفحتين اثنتين تقتصران في الحقيقة على كلية الحقوق (http://www.univ-alger.dz/univ_ar)، في حين لا يتجاوز محتوى موقع جامعة تونس المنار (حكومية) الأربع (http://www.utm.rnu.tn/arsite/index.php)، ولا يتجاوز محتوى موقع جامعة وهران بالجزائر (حكومية) الست صفحات (http://www.univ-oran.dz/).

(٥) موقع الجامعة الأميركية في بيروت (خاصة) وفيه ٧٣ صفحة (http://www.aub.edu.lb/main/Pages/index.aspx) ويمتد محتوى موقع جامعة البحرين (حكومية) على ٥٣ صفحة (http://www.uob.edu.bh).

(٦) «الخطة الاستراتيجية لجامعة الأمير سلطان (السعودية، خاصة) ٢٠١٢ ـ ٢٠١٧»: ١٤٦ ص، «الخطة الاستراتيجية لكلية الطب ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٣ (جامعة الإسكندرية بمصر (حكومية))»: ١٧٧ صة.

(٧) جامعة عمان الأهلية (الأردن، خاصة)، الخطة الاستراتيجية للجامعة، ٢٠٠٧ ـ ٢٠١٢، وثيقة بي دي أف عربية اللسان من ٤٥ ص.

(٨) جامعة أسيوط (مصر، حكومية)، **الاستراتيجية التنفيذية لجامعة أسيوط ٢٠١١ ـ ٢٠١٦**، وثيقة بي دي أف عربية اللسان من ٥٣ صفحة: «معاً نشارك في بناء مجتمع المعرفة».

(٩) *Projet de Developpement de L'universite Abdelmalek Essaadi (2010 – 2014). Rapport de Synthese Strategique,* (PDF, 20 pages en français)

(١٠) جامعة الإسكندرية (مصر، حكومية)، كلية الطب، **الخطة التنفيذية للخطة الاستراتيجية (٢٠٠٨ ـ ٢٠١٣)** (بي دي أف، ٥٥ ص).

(١١) American University of Cairo (Egypt, private), *Our Community of Learning: A Strategic Plan for AUC at its Centennial, Summary of Draft for Discussion: August 27, 2014*, English 2 pages PDF.

(١٢) جامعة بغداد (العراق، حكومية)، كلية الآداب ببغداد، **فلسفة الخطة الاستراتيجية لكلية الآداب** (بقلم عميد الكلية)، عربية، ٣ ص.

أو دليل[١٣]). وفي عدد من المواقع خطابات عمداء (أو مُدِيرِي) مراكز جامعية غير تعليمية (مراكز «عمل مدنيّ وخدمة اجتماعيّة»، أو «بحث علميّ»[١٤]، أو «تطوير داخليّ»[١٥]،...) وخطابات رؤساء أندية وهيئات (هيئات عمل جمعيّاتيّ وإعلاميّ خاصّ بالهيئات التّعليمية و/أو بالطلّاب،...) ومنها ما يكون على صيغة أدلّة للطّلبة[١٦].

ثالثاً: في دلالات الدّيمقراطيّة في خطاب الجامعات العربيّة

تتكون السّجِلّات الجملية لخطاب الجامعات العربيّة من قسمين:

ـ **الأول**، وتقديره ثلثا السجلات الجُمْلِيّة، وهو يتكون من رسائل (Messages) رؤساء الجامعات وعمداء الكلّيات والمعاهد ورؤساء الأقسام أو «رسالة السّيّد العميد» أو مدير القسم، وكذلك «Dean's Adress»... ونضع مكونات هذا القسم لاحقاً تحت عنوان «خطاب القيادات». في مواضعها، عادة ما تكون مكونات هذا القسم على أثر شرح المهامّ (أو الرّسالة Mission) الذي نضعه لاحقاً تحت عنوان «الرّسالة والرّؤية».

ـ **الثاني**، وتقديره ثلث السجلات الجُمْلِيّة، وهو يتكون من مُدَوّنات التوجّه الاستراتيجيّ (فلسفات، رؤى، مناقشات، مُسوّدات، خُطط، خطط تنفيذيّة، ...) وهي التي نضعها لاحقاً تحت عنوان «الأهداف والخطّة». وترد العناصر الدّالة عليها أكثر تناسقاً وتكاملاً مما يرد في خطابات القسم الأول، وعلى الأخص في أمثلة بارزة من الجامعات العربية التي تتّبع نظاماً تعليمياً قريباً من النّظام التّحرّري[١٧].

---

(١٣) دليل معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت (فلسطين، مستقلة)، بي دي أف، صفحتان، عربية إنكليزية.
جامعة قناة السويس (الإسماعيلية، السويس، العريش، مصر، حكومية)، دليل جامعة قناة السويس، ٢٠١٣ (بي دي أف، عربية، ٨٥ ص)

(١٤) جامعة عين شمس (مصر، حكومية)، مركز الأبحاث والدراسات والتدريب لناقلات الأمراض، وثيقة تعريفية بي دي أف، ١٠ ص.

(١٥) جامعة قطر (قطر، حكومية)، مركز التخطيط والتطوير المؤسسي، **الخطة الاستراتيجية ٢٠١٣ ـ ٢٠١٦** (وثيقة بي دي أف، ٢٣ ص).

(١٦) جامعة عين شمس (مصر، حكومية)، كلية الزراعة، **دليل الطالب** (وثيقة بي دي أف، عربية، ٢٣٥ ص).

(١٧) The American Model of Liberal Arts Education.

١ ـ التّحليل الإحصائيّ لحضور دلالات الدّيمقراطية في خطاب الجامعات العربيّة

نحتسب أن لكلّ جامعة خمس خانات تناسب كل واحدة منها دلالة من الدلالات الخمس التي حددناها للديمقراطية. لكل جامعة خمس خانات ممكنة الملء في مستوى خطاب القيادات ومِثْلَهَا في مستوى الرّسالة والرّؤية ومثلها في مستوى الأهداف والخطّة الاستراتيجيّة. على هذا صنفنا الجامعات حسب كثافة حضور دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها فتجمّعت لدينا خمس فئات:

ـ الأولى لها من صفر إلى خانة مملوءة: وهي جامعاتٌ حضورُ دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها منعدمٌ.

ـ الثانية لديها من اثنين إلى ثلاث خانات مملوءة: وهي جامعاتٌ حضورُ دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها ذو كثافة ضعيفة جداً.

ـ الثالثة لديها من أربع إلى خمس خانات مملوءة: وهي جامعاتٌ حضورُ دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها ذو كثافة ضعيفة.

ـ الرابعة لديها من ست إلى سبع خانات مملوءة: وهي جامعاتٌ حضورُ دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها ذو كثافة متوسّطة.

ـ الخامسة لديها من ثماني إلى تسع خانات مملوءة: وهي جامعاتٌ حضورُ دلالات الدّيمقراطيّة في خطابها كثيف.

ويمكن تلخيص نتائج هذا التّصنيف على النّحو التالي:

الجدول الرقم (١)

تصنيف الجامعات حسب كثافة حضور الدّيمقراطيّة في خطابها

الفئة ومؤشّرها الإحصائيّ	الجامعات
حضور دلالة الدّيمقراطيّة منعدم (٠ ـ ١ خانة مملوءة)	الجزائر، المنار، صفاقس، منوبة، Esprit، وهران، ٦ أكتوبر، أبو ظبي، اليمن
حضور دلالة الدّيمقراطيّة ذو كثافة ضعيفة جداً (٢ ـ ٣ خانات مملوءة)	الحسن الثاني، الأهلية عمان، الأهلية البحرين، البحرين، الأمريكية بالكويت، الملك سعود، الأميرة نورة، الإمارات
حضور دلالة الدّيمقراطيّة ذو كثافة ضعيفة (٤ ـ ٥ خانات مملوءة)	اللبنانية، السيدة اللويزة، القاهرة، الأزهر، الكويت، الأمير سلطان، السلطان قابوس
حضور دلالة الديمقراطية ذو كثافة متوسطة (٦ ـ ٧ خانات مملوءة)	قناة السويس، الأمريكية ببيروت، القديس يوسف، بيرزيت، بغداد، قطر
حضور دلالة الديمقراطية كثيف (٨ ـ ٩ خانات مملوءة)	عبد الملك السعدي الأردنية، الأمريكية بالقاهرة، الإسكندرية، عين شمس، أسيوط

يُستخلص من الجدول أن أربعاً وعشرين جامعة عربيّة من بين ستّة وثلاثين تشملها عيِّنة الدّراسة (= ٦٦،٦٦ بالمئة)، تجمع انعدام الحضور والحضوريْن شديد الضعف والضعيف لدلالات الدّيمقراطيّة في خطابها. ومن الممكن أن نفصّل ذلك بالاعتماد على مؤشر المنطقة الجغرافيّة الّتي تنتمي إليها كلّ جامعة معنيّة من خريطة الوطن العربيّ كالّتالي:

الجدول الرقم (٢)

تصنيف مناطق الجامعات حسب كثافة حضور دلالات الديمقراطية في خطابها

الفئة ومؤشّرها الإحصائي	المنطقة			مجموع الصّنف
	المغرب العربي	المشرق العربي	الخليج العربي	
حضور دلالة الديمقراطية منعدم (٠ ـ ١ خانة مملوءة)	٦	١	٢	٩
حضور دلالة الديمقراطية ذو كثافة ضعيفة جداً (٢ ـ ٣ خانة مملوءة)	١	١	٦	٨
حضور دلالة الديمقراطية ذو كثافة ضعيفة (٤ ـ ٥ خانة مملوءة)	٠	٤	٣	٧
حضور دلالة الديمقراطية ذو كثافة متوسطة (٦ ـ ٧ خانة مملوءة)	٠	٣	٢	٥
حضور دلالة الديمقراطية كثيف (٨ ـ ٩ خانة مملوءة)	١	٦	٠	٧
المجموع	**٨**	**١٥**	**١٣**	**٣٦**

يبيّن الجدول أنّ الجامعات التي تشهد الحضور الكثيف للديمقراطية في الخطاب موجود أغلبها في منطقة المشرق العربي فيما الحضور المنعدم والضعيف للديمقراطية في الخطاب الجامعي نجده في جامعات منطقتي الخليج والمغرب العربي. وقد تبيّن لنا أيضاً أن كثافة حضور الديمقراطية في الخطاب يزيد مع الزيادة في عمر الجامعة. فالجامعات التي تأسست منذ العام ١٩٧٥ وصاعداً هي التي يسود فيه فئات الانعدام الكلي أو الحضور الضعيف والشديد الضعف للديمقراطية في خطابها. كما بيّنت الإحصاءات أنّ من بين الجامعات التسع ذات حضور الدلالات الدّيمقراطيّة في خطاباتها مراوحاً بين المتوسّط والكثيف توجد أربع جامعات خاصّة (الأمريكيّة ببيروت، والقدّيس يوسف، الأمريكيّة بالقاهرة، بيرزيت)، مقابل خمس جامعات حكوميّة (الإسكندريّة، عين شمس، أسيوط، ...). ويجمع الجدول الرقم (٣) الجامعات المشمولة في عيِّنة الدراسة رابطاً بين كثافة حضور الديمقراطية في الخطاب والقطاع الذي تنتمي إليه الجامعات مُوزّعاً بين خاصّ وحكومي.

الجدول الرقم (٣)
كثافة حضور الديمقراطية في خطاب الجامعة حسب قطاعها

كثافة حضور الديمقراطية في الخطاب	جامعات القطاع الخاص	جامعات القطاع الحكومي	المجموع
حضور منعدم	Esprit، ٦ أكتوبر، أبو ظبي	الجزائر، المنار، صفاقس، منوبة، اليمن، وهران	٩
كثافة ضعيفة جداً	الأهلية عمان، الأهلية البحرين، الأمريكية بالكويت	الحسن الثاني، البحرين، الملك سعود، الأميرة نورة، الإمارات	٨
كثافة ضعيفة	السيدة اللويزة، الأزهر، الأمير سلطان	اللبنانية، القاهرة، الكويت، السلطان قابوس	٧
كثافة متوسطة	الأميركية ببيروت، القديس يوسف، بيرزيت،	بغداد، قطر، قناة السويس	٦
حضور كثيف	الأمريكية بالقاهرة	عبد الملك السعدي، الأردنية، الإسكندرية، عين شمس، أسيوط	٦
	١٣	٢٣	٣٦

صحيح أن عدد جامعات العيِّنة التي تتبع القطاع الحكومي أعلى بما يقارب الضعف (٦٣,٨٨) من جامعات القطاع الخاص، ولكن ذلك لا يمنع أن تكون كثافة حضور الديمقراطية في الخطاب الجامعي أعلى في الجامعات الخاصة عدداً ونسبةً. ويمكن أن نستخلص من الجداول الثلاثة الأخيرة أن كثافة حضور الديمقراطية في خطاب الجامعة تزيد على الخصوص إذا اجتمعت خاصيات ثلاثة هي وجود الجامعات في منطقة المشرق العربي وعراقتها وانتماؤها إلى القطاع الخاص. وسيكون علينا أن نتثبت إن كانت هذه المتغيرات مؤثرة تأثيراً حاسماً أم أننا لم نقفْ إلّا على تلازم طرديٍّ بين متغيّرات الموقع الجغرافيّ وعمر الجامعة وانتمائها القطاعي من جهة ومدى كثافة حضور الديمقراطية في خطابها من جهة ثانية.

أما المتغيّر الرابع الذي لاحظنا حضوره فهو النّظام التّعليمي الذي تتبعه الجامعة وهو موزّع بين التحرّري بمعنى أتباع The American Model of Liberal Arts Education كما ورد في رسائل رؤساء جامعات وعمداء عديدين وعلى الأخص في الجامعات اللبنانية الخاصّة، وبين الحكومي الذي يعني أنّه نظام عموميّ غير تحرّري بما أنّ العديد من الخطابات الرسمية الجامعية تصرح بوضوح أنها جامعات تطبّق توجيهات مسؤولي الدولة عن القطاع الجامعي. ولكن، وإذ تغيب المعطيات الخاصة بالنظام التعليمي في العديد من الجامعات فإنّا اقتصرنا على الإثنتي عشرة جامعة التي كان حضور الديمقراطية في خطابها بين الكثيف ومتوسط الكثافة وهو ما يعطي الجدول الرقم (٤) الذي يجمع بين مدى كثافة حضور خطاب الديمقراطية والنظام التعليمي:

الجدول الرقم (٤)

الترتيب التنازلي للاثنتي عشرة جامعة ذات الكثافة الأعلى لحضور الديمقراطية في خطابها ونظامها التعليمي

	الجامعة	مؤشر حضور معاني الديمقراطية في الخطاب	النظام التعليمي
١	عين شمس	كثيف	غير مذكور
٢	أسيوط	كثيف	غير مذكور
٣	الإسكندرية	كثيف	غير مذكور
٤	الأمريكية بالقاهرة	كثيف	تحرّري
٥	الأردنية	كثيف	غير مذكور
٦	عبد الملك السعدي	كثيف	غير مذكور
٧	القديس يوسف	متوسط الكثافة	تحرّري
٨	بغداد	متوسط الكثافة	غير مذكور
٩	قطر	متوسط الكثافة	غير مذكور
١٠	قناة السويس	متوسط الكثافة	غير مذكور
١١	بيرزيت	متوسط الكثافة	تحرّري
١٢	الأمريكية ببيروت	متوسط الكثافة	تحرّري

من حيث المواضع، يمكن أن نحصِّل حضور مختلف دلالات الدّيمقراطيّة التي اخترنا من خطاب الجامعات العربيّة على الشكل التالي (الجدول الرقم (٥)).

أما من حيث هوية صاحب الخطاب فهي موزّعة على النحو التالي (الجدول الرقم (٦)):

الجدول الرقم (٥)
مواضع حضور دلالات الديمقراطية في خطاب الجامعات العربية

موضع الحضور	التكرار	النسبة المئوية
الرسالة والرؤية	٤٥	٣٠,٦١
خطاب القيادات	٤٢	٢٨,٥٧
الأهداف والخطة	٦٠	٤٠,٨٢
المجموع	١٤٧	١٠٠,٠٠

الجدول الرقم (٦)
توزيع خطاب الجامعات حول الديمقراطية على القيادات الجامعية

موضع الحضور	التكرار	النسبة المئوية
خطابات رؤساء الجامعات	١٠	٢٣,٨٠
خطابات عمداء الكليات ومديري المعاهد	٢٤	٥٤,١٥
خطابات رؤساء الأقسام	٠٠	٠٠,٠٠
خطابات مديري المراكز ورؤسائها	٠٨	١٩,٠٥
المجموع	٤٢	١٠٠,٠٠

٢ ـ التحليل النوعي لحضور دلالات الدّيمقراطيّة في خطاب الجامعات العربيّة

أ ـ دلالة الديمقراطية باللفظة ذاتها وبوصفها سياسة ممارسة

ترد لفظة السياسة (Politique; Politics) مسنودة إلى الرؤية العامة للأوضاع المعرفية والجامعية والبحثية التي تميّز إمّا بلداً ما أو قطاعاً معرفياً محدّداً أو المؤسسة ذاتها. تتكرس السياسة في سياسات ((Politiques; Policy (ies) أي في ما تتخذه الجامعة من خطوات إجرائية في صنع المعرفة وتوزيعها وإقحامها في الدورة الاقتصادية إنتاجاً وتوزيعاً وتطويراً... بحيث يتم تشجيع الطلاب على المساهمة في صنع تلك السياسات كما يرد في رسالة رئيس جامعة الأردن الحكومية في عمّان[١٨]. مرجعية رسم السياسات هي القوانين

(١٨) «Students and faculty alike will be encouraged to contribute to University policy-making rather than just be on the receiving end» (President's message, University of Jordan (Jordan, State University) <http://www.ju.edu.jo/home.aspx>

الحكومية كما في مثال جامعة صفاقس بتونس[١٩]، أو رؤى حكّام بأعينهم كما في استناد جامعة الحسن الثاني الحكومية إلى التوجهات الملكية في المغرب[٢٠]، أو مرجعية توصف بالتحرّرية ((liberal(e) واعتماد الحرية (liberté; freedom) ومنها الحرية الأكاديمية كما يرد في بيان أهداف جامعة أسيوط في مصر[٢١].

في الخطابات صيغ متعددة لما يَبْنِي «حياة جمعياتية» قوامها أنشطة من قبيل الندوات والحوارات الثقافية واشتراك في الخدمات وإقامة للألعاب[٢٢] مع الإشارة إلى أطر حاسمة التأثير في الحياة الجامعية الداخلية من حيث سماحها بـ «التفويض» أو التمثيل الطلابي[٢٣] و«انخراط» المدرسين[٢٤] و«التزام» بما يدفع الحياة العلمية والبحثية وهو ما يتكرس على الأكثر لدى الجامعات السائرة على مبادئ التعليم التحرري[٢٥]. وترتكز الممارسة الديمقراطية للطلاب داخل الجامعة على بنائهم «جمعيات علمية» و«جمعيات ثقافية»، و«جمعيات رياضية»، مع ذكر نادر للنقابات الطلابية، مقابل انخراطهم في «جمعيات مهنية»، وممارستهم من خلال «منتديات الطلبة»، وعبر آلية «الأيام التطوعية»، وإصدار «المنشورات

(١٩) «Aider à l'application de la Politique gouvernementale en ce qui concerne la recherche scientifique et ses applications »(Mission de la Faculté des Sciences de Sfax, Université de Sfax (Tunisie, gouvernementale), <http://www.fss.rnu.tn/index.php?lang=fr>.

(٢٠) «Ce plan, qui s'inspire des Hautes Orientations Royales et adopte une référence basée sur les dispositions de la Charte nationale d'éducation et de formation».

جامعة الحسن الثاني، الدّار البيضاء (المغرب، حكومية)، <http://www.uh2c.ac.ma/index.php>

«وهذه الأهداف تتواءم مع أهداف الجامعة كما وردت في المرسوم الأميري رقم ١٨ لسنة ١٩٩٩ ...»

كلية الحقوق جامعة البحرين (البحرين، حكومية)» <http://www.uob.edu.bh/pages.aspx?module=pages&id=163&SID=86>.

(٢١) «حماية الحرية الأكاديمية» (فقرة الأهداف في موقع جامعة أسيوط (مصر، حكومية)، <http://www.aun.edu.eg>.

(٢٢) «ويمثل نادى الكلية ومبنى الأنشطة الطلابية... موقعاً فريداً حيث يقدم خدمات وأنشطة متعددة للطلاب من خلال الملاعب والمسارح وقاعات الندوات والمعسكرات الثقافية والصيفية وعشائر الجوالة والخدمة العامة بجانب الأنشطة المختلفة للأسر الطلابية والأنشطة العلمية والتكنولوجية من خلال الجمعيات العلمية»، جامعة القاهرة (مصر، حكومية)، كلية الهندسة، كلمة العميد، الرابط <http://www.eng.cu.edu.eg>

« To cooperate and sign agreements with local and international universities, training institutes, unions, and organizations», Center of Excellence for Training and Human Development Objectives (October 6th University, (Egypt, state university), <http://o6u.edu.eg/Services.aspx?FactId=0&id=190>.

(٢٣) «تشكيل المجالس التمثيلية للكليات والمعاهد في بناء متكامل ومترابط.»، الجامعة اللبنانية (لبنان، حكومية)، كلمة الرئيس، مصدر سابق.

(٢٤) «The members of the Department are also involved in scholarly endeavors, with the aim of extending the frontier of social and scientific knowledge that will benefit the State of Qatar and humanity at large» (Department of Humanities, Qatar University (Qatar, state university), <http://www.qu.edu.qa/artssciences/humanities>.

(٢٥) «Supporting faculty members' Involvement in research, professional practice, development of teaching and learning methodology» (ND University (Lebanon, private), <http://www.ndu.edu.lb/index.htm>.

الإعلامية». ويسمح هذا النسيج الجمعياتي بخوض الطلاب والهيئة التعليمية والإطار الإداري والتسييري ممارسةً سياسيّةً ديمقراطيّةً بامتياز هي «انتخاب» المكلفين بالتسيير وإن لم ترد هذه اللفظة بصفة متواترة في الخطاب.

وتمس بعض جوانب حياة هذه الهياكل بما يستوجبه كل «انفتاح على حاجات المجتمع المنتظم مدنياً»[٢٦] مخصوصاً بفئات سكانية معيِّنة مثل المرأة في مثال جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن[٢٧] حيث تنص خطاباتٌ جامعية على «برامج الجودة» الساعية إلى تحقيق ما يستجيب للحاجات المجتمعية المنتظرة من الجامعة، وعلى وجود «منتديات الانفتاح» على المجتمع المحلي، وتتوافر» بُنى استقبال للمؤسسات والمبادرين الاقتصاديين» كما في مثال بعض المعاهد الاقتصادية والتجارية العليا الحكومية في تونس (جامعة منوبة)[٢٨].

ب ـ الحرّيّة وحرّيّة التّعبير

لا تنصّ إلا بعض خطابات الجامعات العربية على عدم التّفريق بين فاعل وآخر في حياة الجامعة وعلى عدم استثناء أيّ مشارك ممكن ... «ممارسات عادلة لا تفرّق بين طرف أو آخر ولا تستثني أحداً داخل منظومة الجودة: العدالة، ممارسات شفافة تتسم بالوضوح وعدم الغموض: الشفافية، التشاور والتوافق وعدم الانفراد بالرأي: الشورى، الحرية الأكاديمية والبحثية المسؤولة: الحرية»[٢٩] من خلال هياكل تناسب تطارح الأفكار و«المناقشة»[٣٠]

---

(٢٦) «فتح ملاعب وساحات وحدائق الكلية للاتحادات الرياضية وللمواطنين كافة للإفادة منها» (كلية التربية البدنية، جامعة بغداد (العراق، حكومية)، <http://www.cope.uobaghdad.edu.iq/default.aspx>.

(٢٧) «تأهيل وتدريب متخصصات في مجال الأنظمة لخدمة احتياجات المرأة السعودية وحل قضاياها، وتمثيلها في مؤسسات المجتمع المدني» (جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض (السعودية، حكومية)، <http://www.pnu.edu.sa/ar/Pages/Home.aspx>.

(٢٨) « ... l'ISCAE a développé plusieurs projets (programme PAQ, projet ISCAE for All, Maison de l'entreprise et de l'entrepreneur…) qui visent … à ouvrir l'ISCAE sur son environnement socio-économique, à développer… l'esprit d'initiative de ses étudiants… l'ISCAE pourra faire évoluer ses formations afin qu'elles répondent aux besoins du monde professionnel et contribuent à développer l'esprit d'ouverture et l'autonomie de ses étudiants afin qu'ils puissent… mener à bien leurs projets», المعهد العالي للمحاسبة وإدارة المؤسسات بتونس، جامعة منوبة (تونس، حكومية)، <http://www.iscae.rnu.tn/Fr/restaurant-universitaire_11_259>.

(٢٩) جامعة أسيوط (مصر، حكومية)، كلية الهندسة، وحدة ضمان الجودة، <http://www.aun.edu.eg/faculty_engineering/arabic/qual_assur.htm>.

(٣٠) «The University believes deeply in and encourages Freedom of thought and expression and seeks to foster tolerance and respect for diversity and dialogue» (AUB record (Lebanon, private), Link: http://www.aub.edu.lb/main/Pages/index.aspx).

«توصيات من اليونيسكو في مؤتمرات عدّة على ارتباط الحريات الأكاديمية بالتعليم العالي وبالإعلان العالمي لحقوق الإنسان وبحرية التعبير Le président de l'Université Libanaise (Liban, étatique), <http://www.ul.edu.lb>.

«تسعى جامعة بيرزيت إلى معاملة الأفراد جميعاً، ومعاملة الأفراد بعضهم لبعض، باحترام وكرامة وإنصاف وتفهم وشفافية واحتفاء بالاختلاف في المنظورات والمعتقدات والتقاليد والخبرات في =

و«التداول»[٣١] وهو ما يصح على الأخص في أمثلة الجامعات الخاصة ذات التوجه التحرري.

عموماً، ثمة في خطابات الجامعات العربية اتّجاه **أوّل** يعتبر الحرية شأناً سياسيّاً داخليّاً ضمن سياسات الجامعة في إدارة شأنها الخاصّ على صيغة «حرّية إبداء الرّأي والمناقشة» للطلاب والمدرسين على السواء[٣٢] واتجاه **ثانٍ** يعتبر الحرية مرتبطة بما هو خارج الجامعة أيضاً حيث يتواتر استخدام لفظة «الحرّية» في سياق وضع الجامعة ضمن مجتمع متحرّر[٣٣]. في الاتجاه الثاني معنًى للديمقراطية بما هي رؤية سياسية تحرّرية للشأن المجتمعي تتكرس في تعليم جامعيّ متحرّر للفنون والآداب تدريساً ونقلاً وبحثاً وذلك بالاستناد إلى نماذج مستوحاة من بلدان «متقدمة»[٣٤] هي، بالنسبة إلى هذه الخطابات، مثال للنظام التعليمي التحرّري الذي ذكرنا.

وتأخذ خطابات جامعية عربية محدّدة في اعتبارها أثر الحركات الاجتماعية الاحتجاجية والمطلبية التي شهدتها مجتمعات عربيّة بعينها. وهو ما يدل على وعي بكونها تحيا في محيط مدني مخصوص تساعد فيه الاستجابة لحاجات الجماعات والمجتمعات المحلية على تجسيد الديمقراطية الجامعية ومنها مطالب سياسية واجتماعية ذات صلة بالأوضاع القطرية الخاصة (مصر) أو التي تهم منطقة الشرق الأقصى مثلاً[٣٥].

ج ـ المشاركة

ممّا يذكر في دلالة المشاركة ما يَرِدُ على صيغ «التكامل» و«التضامن» و«التوافق» (المقاربة التوافقية) بين مكونات الأسرة الجامعية وتطوّع المدرسين ـ الباحثين والكادر الإداري والطلاب

= ظل التزام صارم بالحرية الأكاديمية وحرية التعبير»، (فلسطين، خاصة)، <http://www.birzeit.edu/ar>.

(٣١) «رسالة برنامج التاريخ والآثار: اعتماد وتعزيز التفاعل الديمقراطي المبني على أساس احترام الآخر، المساهمة في تنمية المستوى الثقافي للطلبة، وبلورة شخصيتهم، وصقل مواهبهم، وتنمية الروح النقدية لديهم»، جامعة بيرزيت (فلسطين، خاصة)، <http://www.birzeit.edu/ar>.

(٣٢) «توفير بيئة عمل للطلبة والهيئة التدريسية والمنتسبين الآخرين مع الالتزام بالقيم المهنية العالية الخاصة بالحرم الجامعي مع حرية إبداء الرأي واحترام الرأي الآخر» (كلية الهندسة جامعة بغداد (العراق، حكومية)، <http://www.coeng.uobaghdad.edu.iq>.

(٣٣) «Democratization, Political Participation, and Civil Society among Scholarly Interests of Center for Gulf Studies (American University of Kuwait (Kuwait, Private),» <http://www.auk.edu.kw/cgs/index.jsp>.

(٣٤) «NDU is a Lebanese Private, Non-Profit, Catholic institution of higher education, which adopts the American model of Liberal Arts Education» (Notre Dame University (Université Notre-Dame-de-Louaizé (Liban, Privée, catholique)) Zouk Mosbeh, Lebanon, <http://www.ndu.edu.lb/index.htm>.

(٣٥) «There are several factors that will affect our progress in the coming years. Some of these are external: the social and political situations in Egypt and the Middle East, the changing demographics of New Cairo and downtown, and global trends in higher education... » (AUC (Egypt, private), <http://www.aucegypt.edu/Pages/default.aspx>.

بما هم جماعة جامعية[٣٦] ومشاركتهم جميعاً في حياة الجماعة الاجتماعية عامة كما يرد في بيان رسالة جامعة الإمارات العربية المتحدة الحكومية[٣٧]، والتسامح بوصفه من مقومات حرية التفكير والتعبير ضمن التصور التحرري للجامعة الأميريكية في بيروت مثلاً[٣٨]. في المشاركة الجامعية و/أو الأستاذية أو المجتمعية العامة[٣٩] (التي تضاف إليها نعوت من قبيل: الفعلية، الحقيقية، أو تعوض بصيغ قريبة من قبيل: «التشارك»، «المقاربة التشاركية» لإدارة الشأن الجامعي أو لإدارة علاقة الجامعة بمحيطها[٤٠]،...) ضمن خطاب الجامعات العربية ما يطوّر فكرة المشاركة إلى استراتيجية (توضع تحت عبارات: «شراكة» حقيقية، فعّالة، «الشراكة بين هيئات التدريس والطلاب والإطار الإداري»[٤١] كما يرد في مثال رسالة عميد معهد الزراعة والبحرية بجامعة السلطان قابوس الأميرية العمانية... إلخ.). وتقدّم خطاباتُ الشّراكة على صيغةٍ تكون بين طلّاب غير متجانسين عقائدياً وهو ما ورد مثلاً على صيغة «بين متعاونين من انتماءات دينية مختلفة» في رسالة جامعة القديس يوسف الخاصة الكاثوليكية في لبنان[٤٢].

---

(٣٦) «C'est en raison de l'Implication et l'adhésion des enseignants chercheurs dans l'innovation pédagogique et la recherche, du personnel administratif et des étudiants,… que cette communauté universitaire se trouve déterminée à contribuer à instaurer au sein de notre faculté une démarche associant Participation, concertation et rigueur», Dean's Message, Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales, Tanger, Université Abdelmalek Essaadi (Maroc, gouvernementale), <http://www.fsjest.ma>.

(٣٧) «Objectives: be a responsive contributor to our community», in, University discourse, Abu Dhabi University (United Arab Emirates, state university), <http://www.adu.ac.ae>.

(٣٨) «The university believes deeply in and encourages Freedom of thought and expression and seeks to foster tolerance and respect for diversity and dialogue» (AUB (Lebanon, private) record, <http://www.aub.edu.lb/main/Pages/index.aspx>.

(٣٩) «يعقد القسم العديد بشكل دوري خلال العام الدراسي العديد من الحلقات النقاشية حول موضوعات الساعة في المجال التربوي، حيث تعرض بحوث أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا فضلاً عن ورش العمل» (كلمة رئيس قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة البحرين (البحرين، حكومية) <http://www.uob.edu.bh/pages.aspx?module=pages&id=1269&SID=369>.
«ترسيخ ثقافة المشاركة المجتمعيّة والتنمية البيئيّة المستدامة لدى جميع القطاعات وكافة فئات المجتمع الإسهام في تطوير آليات، تفعيل الشراكة المجتمعية ونشر ثقافة المشاركة في خدمة المجتمع وتنمية البيئة» (جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض (السعودية، حكومية) <http://www.pnu.edu.sa/ar/Pages/Home.aspx>.

(٤٠) «تشجيع أعضاء هيئة التدريس للمُشَارَكَة في تنميةِ المجتمع ورَسْم وتَطبيق سياساتِ وخطط التنمية، تكليف وتشجّيعُ اشتراك الطلابِ في القراراتِ التي تُؤثّرُ في تعليمِهم، السماح للطلابِ بالمشاركة في تقييم عمليات التعليم والتدريب»، رؤية كلية الطب للبنين بدمياط، جامعة الأزهر (مصر، خاصة): <http://www.azhar.edu.eg/bfac/domfacmed/index.htm>.

(٤١) «We are a strong, vibrant community of faculty, students and staff united around a shared passion for the natural world » (College of Agricultural and Marine Sciences Deans message, http://www.squ.edu.om/college-agricultural/tabid/135/language/en-US/Default.aspx, Sultan Qaboos University, Muscat (Sultanate of Oman, State University http://www.squ.edu.om/).

(٤٢) «Notre Université déclare dans sa Charte, telle qu'elle a été formulée en 1975, qu'elle est animée par = la Compagnie de Jésus dans la mesure où des jésuites se consacrent, à côté des laïcs, à son animation

وفضلاً عن ذلك نجد في مواقع بعض الجامعات عرض لبرامج إنجاز عمليّ لجملة من الأنشطة تضع هذه البرامج قيد الإنجاز التوعويّ والتثقيفيّ والتدريبيّ بل والنّضاليّ (أسيوط الحكومية المصرية[٤٣]، بغداد الحكومية العراقية[٤٤]،... إلخ).

وتؤكّد بعض صيغ خطاب الجامعات العربية على «العمل الفريقي» أو «العمل بروح الفريق الواحد»[٤٥] بمرادفاتها الفرنسية والإنكليزية «collegial» و«collegiality» وهو ما يتطوّر أحياناً إلى معاني التقاسم والمقاسمة[٤٦] القائمة على أساس المناقشات الجماعية المفتوحة والتداول كما يرد في الخطة الاستراتيجية التي وضعتها الجامعة الأمريكية بالقاهرة (خاصة)[٤٧].

د ـ الفضاء الجامعي

في عدد من خطابات الجامعات العربية تُعتبر مختلف الأشكال التمثيلية المرتبطة بالحقوق الطلابية، مَعْبَراً إلى مكوّنات رأي عامٍّ طلّابي يكتنفه فضاء عموميّ جامعيّ مساعد على إيجاد لَبنات سلطة طلّابية مضادّة ممكنة تمنع احتكار القرار الجامعي ذي الشأن بالحياة الداخلية للجامعة أو بعلاقة الجامعة بمجتمعها. وتفتح جامعاتٌ عربية باب الانتظام للهيئة التعليمية في جمعيات ثقافية، ورياضية، ومهنية، ... إلخ، بما يكوّن نسيجاً جمعياتياً يعتبر، ممارسةً، من أسس التّدريب على خوض الحياة الدّيمقراطيّة من خلال

= intellectuelle et spirituelle » (Université Saint-Joseph, (Lebanon, private, catholic) Beyrouth, Zahlé, Sidon, Tripoli, <http://www.usj.edu.lb/>.

(٤٣) «تنظيم عدد (٢) رحلة للمحكمة الدستورية العليا والمجلس القومي لحقوق الإنسان والمجلس القومي للمرأة (لجنة الحريات) بنقابة الصحفيين، مصلحة السجون، أكاديمية الشرطة « و«التعرف على دور لجنة الحريات بنقابة الصحفيين في حماية حقوق الإنسان» و«زيادة ونشر الوعي بفكرة حقوق الإنسان في المجتمع المحيط وبصفة أساسية أعضاء النقابات المهنية والجمعيات المدنية وسائر مؤسسات المجتمع المدني العاملة في مجال حقوق الإنسان والتفاعل معها»... جامعة أسيوط (مصر، حكومية)، جمعية حقوق الإنسان، فقرة الأنشطة، <http://www.aun.edu.eg/faculty_law/arabic/human_rights/index.htm>

(٤٤) جامعة بغداد (العراق، حكومية)، كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ ابن رشد، الوحدة التربوية لدراسات السلام وحقوق الإنسان، <http://www.ircoedu.uobaghdad.edu.iq/PageViewer.aspx?id=27>.

(٤٥) «We support one another at work through cooperation and teamwork, and value the rewarding and creative environment that this produces» (United Arab Emirates University, El Ain, (United Arab Emirates, state university) <http://www.uaeu.ac.ae/en/>.

(٤٦) « فتكاثف الجهود وفق مبدأ التدرج سنصل من خلاله الى إعادة بريق هذه الكلية العريقة وهي قبل كل شيء مسؤولية في أعناقنا وأمانة أجيال سابقة وأخرى لاحقة لا بد أن نؤديها «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، كلمة العميد، كلية الحقوق، جامعة الجزائر ١ (الجزائر، حكومية)، <http://www.fac-droit-alger.dz/Droit/index.php?page=3>.

(٤٧) «… our strategic plan, which is the product of months of task force deliberations and campus discussions. We anticipate introducing the draft for a final round of community discussion», The American University in Cairo (Egypt, private), resident's message, <http://www.aucegypt.edu/Pages/default.aspx>.

التّداول والنّقاش وربما اتّخاذ القرارات والتصويت، والانتخاب... إلخ. وترد في المعاني التي يسوقها قادة الجامعة عن سياساتهم الاتصالية وممارساتهم التسييرية عبارات «التشريك»، و«الاستماع»، و«الانفتاح على المقترحات»، و«الإصغاء»... بحيث تبدو الجامعة كيان «مُجِيباً»، و«مُصْغِياً»[٤٨]. كما يعتبر الطالب والمدرّس والإطار «مساهمين» في حياة هذا الكيان الداخلية كما في أنشطته الخارجية («المجالس الاستشارية» مثلاً) بما يضمن جماعيّة التّداول والنّقاش واتخاذ القرار التنظيميّ أو التّسييريّ بما يمكن أن يتطوّر نحو «حَوْكَمَةً»[٤٩]. ويتجسد انفتاح الجامعة على محيطها في «أيّام تطوّعيّة»، واتّباع سياسة «أقسام مفتوحة» (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)، كما في وجود «مراكز تعليم وتعلّم»، Open Sources; Students Office، أو نوادي الطلبة المنفتحة على استخدام تقنيات الإعلام والاتصال الإلكترونية الحديثة[٥٠].

إنّ في مختلف هذه الصّيغ تكريساً لفضاء عموميّ جامعيّ مفتوح على النقاش والتّداول وربطاً للجامعة بمحيطها وبيئتها الاجتماعية بما فيها من اتّحادات وجمعيّات وهيئات إذ هي أشكال تَنَظُّم مواطنيّ تتفاوت درجات استقلاليّتها وحرّيتها وقدرتها على التّعبير عن إرادة (أو إرادات) الجماعة (أو الجماعات) في ممارسة شكل من أشكال المشاركة في إدارة العلاقة بين الجامعة والمجتمع، أي في إيجاد سلطة مضادة لكلا السلطتين الجامعية والسياسية في معناها الشامل.

٣ ـ مناقشة ختاميّة لحضور معاني الدّيمقراطيّة في خطاب الجامعات العربيّة:

على الرغم من تأكيد أغلب رؤساء الأقسام ومديري المؤسسات وعمدائها في جامعة تونس المنار مثلاً على توافر الحرية الأكاديمية وبدرجات تقدير راوحت بين أربعة من خمسة (٥= الأفضل) وخمسة من خمسة[٥١] تغيب دلالة الحرية الأكاديمية غياباً تامّاً في خطاب الجامعات العربية. وفي مقابل ذلك، يبدو حضور الدلالات الأخرى للدّيمقراطيّة في خطاب الجامعات العربيّة على صيغته الأوضح في «الخطط الاستراتيجيّة» ثمّ لدى القيادات من رؤساءِ جامعاتٍ وعمداء وعلى الأخصّ في الرّسائل الّتي يوجّهونها إلى

---

(٤٨) «L›étudiant … est toujours à l›écoute par ses professeurs et administratifs » (Abdelmalek Essaadi University (Maroc, étatique)), <http://www.uae.ma/>.

(٤٩) « اتباع أسلوب فعال في القيادة والحوكمة بما يضمن كفاءة الإدارة وضمان المصداقية والأخلاق» (جامعة أسيوط (مصر، حكومية)، كلية الحاسبات والمعلومات، فقرة الأهداف، الهدف الرابع، <http://www.aun.edu.eg/faculty_computer_information/Arabic/?width=1280>.

(٥٠) Esprit (Ecole Supérieure Privée d'Ingénierie et de Technologies, Tunis, Tunisie) Google Club, <http://www.esprit.ens.tn/test/v3/index.php?option=com_content&view=article&id=122&Itemid=560&lang=fr#header>.

(٥١) انظر في غير هذا الموضع، نتائج العمل الميداني المخصّص للجامعات التونسية المعدودة ضمن العينة.

الطلّاب وإلى أعضاء الهيئة التّعليميّة. ولكن ورود صياغات تُعيد في الكثير من الأحيان حرفياً ما ورد في رسائلهم لدى من هم دونهم في المسؤولية القياديّة يشي بسلوك اتّباعي اتّجاهه من فوق إلى تحت بحيث يلقي نوعاً من الشك في القناعات الديمقراطية لواضعي هذه الخطابات.

تعتمد الكثير من الجامعات اللّبنانيّة الخاصّة والمصريّة والجامعات الأميركيّة في كل من بيروت والقاهرة والكويت تحليلاً لعناصر القوّة والضّعف والفرص والتهديدات الموجودة (SWOT) في بيئاتها الدّاخليّة والخارجيّة كما في مثال «الخطّة الاستراتيجيّة لجامعة عين شمس ٢٠١٢ ـ ٢٠١٧»[٥٢]. وتتعلق أجزاء كثيرة من تلك الخطط بالسوق والجودة ومسائل شبيهة ولكن ما يهمنا في ذلك هو أثره في الديمقراطية في الجامعة[٥٣]. في مثل هذه الحطابات تبدو سوق المعرفة سوقا تُهَيْكِلها الدّولة ولا تتمتع بالاستقلالية الكافية والقدرة الذاتية على التنظم بما يعسّر على الجامعة إمكانية ربط العلاقة بها وتلك مسألة في قلب العلاقة بين الديمقراطية داخل الجامعة والديمقراطية خارجها. إزاء ذلك، وكما يبدو في الخطة الاستراتيجية لكلية الصّيدلة بجامعة الملك سعود مثلاً[٥٤]، يتم التأكيد أنّ من مظاهر الضعف لدى الكلية وإطارها «بطء الاتصال بين الذكور والإناث في ذات القسم ... نقص المعلومات حول حقوق الطلبة... محدودية الفضاءات الجماعاتية والمدنية الموضوعة على ذمة الطالبات للمطالعة والدراسة... ثقل المواد التعليمية... محدودية الوقت الذي يمكن أن يخصّص للنّشاطات غير الدراسيّة والتّواصل مع أعضاء الكلّية».

في مقابل ذلك، يبدو مدخل معاينة ما يعتمل من تغير مجتمعي في البيئة المحيطة بالجامعة بالغ الوضوح في الخطط الاستراتيجية التي وضعتها الجامعات الأمريكية (القاهرة، بيروت، الكويت)[٥٥]. وعلى النقيض من ذلك، لا يحظر ما يَشِي بِالوَعْي بمتطلبات التأقلم مع الضرورات التي تفرضها سيرورات التغير الاجتماعي في خطابات جل الجامعات الحكومية العربية باستثناء حالات مصريّة محدّدة (أسيوط)، وهو غائب على الأخص لدى الجامعات الحكومية في المغرب العربيّ. قوة ارتباط هذه الجامعات بالسّلطة وانعدام المساءلة يحدّان من ذلك الوعي إلّا على صيغة طلّابية احتجاجية ولكنّها من دون بدائل.

وعلى خلاف ذلك، لا يعالج التفكير المتحرّر من السّطوة السّلطوية مُكوّنات البيئة المحيطة على أنها مُهدّدة بل باعتبارها مُحفّزة من خلال ما تضعه من تحدّيات في وجه الجامعة بحيث تُجبرها على رفعها[٥٦]. وتوافقاً مع مثل هذه التحدّيات، يتطلب التحليل

---

(٥٢) الخطة الاستراتيجية لجامعة عين شمس (مصر، حكومية) ٢٠١٢ ـ ٢٠١٧ (ملف بي دي أف، ٣٩ صفحة).

(٥٣) الخطة الاستراتيجية لجامعة عمان الأهلية (الأردن، خاصة)، ملف بي دي أف، ٤٥ صفحة.

(٥٤) «Developing a High Impact Strategic Plan (2012-2016), College of Pharmacy/King Saud University, Saudi Arabia, State University, 1st Draft on 16-1-2010, Approved on 5/2/2012» (PDF file, 93 p).

(٥٥) Our Community of Learning: A Strategic Plan for AUC at its centennial.

(٥٦) المصدر نفسه.

الاقتراب من واقع ممارسة هذه الجامعات للأنشطة غير التّعليمية التي تحضر فيها دلالات الدّيمقراطيّة.

رابعاً: حضور الدّيمقراطيّة في الأنشطة المدنيّة للجامعات العربيّة

حسب الخطة المنهجية الموضوعة، «يهدف استقصاء الأنشطة إلى رصد «المناخ الجامعيّ» في الموضوع المدني»، وفيه انطلق فريق البحث من أن «الجامعة، بمبادرة من الطلاب أو الأساتذة أو الإدارة، تنظّم فعاليات متنوّعة حول العديد من المواضيع المدنية». ما يهمنا منها هنا هو ما يتعلق بالديمقراطية. على هذه الأسس جمع فريق بحث الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية «بيانات عن الأنشطة المدنية من خلال البحث في المواقع الإلكترونية للجامعات العربية بواسطة محرّك غوغل... طوال الفترة ما بين ٢٠١٤/١٢/١ و٢٠١٤/١٢/٣٠ للأنشطة التي انتظمت على امتداد السنوات ٢٠١٢ و٢٠١٣ و٢٠١٤».

١ ـ التحليل الكمّي لحضور الدّيمقراطيّة في الأنشطة المدنيّة للجامعات العربيّة

تمّ توزيع عموم الأنشطة على أساس كثافتها بحيث كانت على خمس فئات تمتد من أعلاها عدداً وهي «عالية الكثافة» فإلى ما هو أدنى منها عدداً وهي «الكثيفة» إلى ما هو أدنى عدداً وهي «متوسطة الكثافة» مروراً بما هو أقل منها وهو «متدني الكثافة» وصولاً إلى «الضعيف» كما يبينه الجدول الرقم (٧) الذي نخصصه للفئات الثلاث الأولى («عالية الكثافة» و«الكثيفة» و«متوسطة الكثافة»). كما تمّ تقسيم الأنشطة على النّوعيات التالية: ١: ندوة: منتدى، لقاء، جلسة حوارية، محاضرة، Open Discussion, Film Screen, Book Launch, Symposium Colloque, Panel Discussion, Round Table, Forum, Seminar؛ ٢: مؤتمر علمي: Conference، ٣: ورشة عمل: Atelier, Workshop ورشة عمل، لقاء تدريبي؛ ٤: معرض: Festival, Exhibition Fair معرض، مسرحية ؛ ٥: نشاط: إعلان عن نشاط، مؤتمر صحفي، إطلاق، Celebration, Announcement, Anniversary ؛ ٦: انتخابات؛ ٧: احتجاج، إضراب؛ ٨: مسابقة، Competition ;٩: رحلة، حملة، مبادرة; ١٠: غير ذلك. أما الجهات المنظمة هي: الجامعة، الكلية، القسم، وحدة غير تعليمية، نادٍ، الأساتذة، مركز أبحاث تابع للجامعة، الطلاب.

ويمكن تحصيل أهم النتائج الحاصلة بالنسبة إلى الفئات الثلاث الأولى على النحو التالي:

الجدول الرقم (٧)
مجموع أنشطة جامعات الفئات الثلاث الأولى ونسبة الأنشطة الديمقراطية منها

الفئة وحدودها حسب عدد أنشطتها الكلي	المجموع العام لعدد أنشطة الفئة في كل المجالات	تفصيل عدد أنشطة الفئة في مجال الديمقراطية حسب الجامعات	مجموع أنشطة الفئة في مجال الديمقراطية	نسبة أنشطة الفئة في مجال الديمقراطية من مجموع أنشطتها العام (بالمئة)
الأولى: عالية الكثافة (١٠٠ نشاط فما فوق)	١٢٩	٤٧ (الأميركية في بيروت)	٤٧	٣٦,٤٣
الثانية: كثيفة (ما بين ٤٠ و٩٩ نشاطا)	١٥٠	٢٠ (بغداد)	٥٩	٤٨,٧٩
		٢٢ (بيرزيت)		
		١٧ (القديس يوسف)		
الثالثة: متوسطة الكثافة (ما بين ٢١ و٣٩ نشاطاً)	١٠٩	١٩ (الأمريكية بالقاهرة)	٤٦	٤١,٢٩
		١٢ (القاهرة)		
		٠٨ (البحرين)		
		٠٧ (الأمريكية بالكويت)		
المجموع	٣٨٨ (٦٩,٥٣ بالمئة من مجموع أنشطة الجامعات)	١٥٢	١٥٢	-

في الجدول بُني تصنيف الجامعات على أساس مجموع أنشطتها العامة ولكن التدقيق في ترتيبها على هذا الأساس يتوافق ونفس الترتيب التنازلي الذي تنتظم فيه على أساس مجموع أنشطتها في مجال الديمقراطية. نلاحظ أن جمع جامعات عديدة في الفئة الثانية جعل نسبة أنشطة الديمقراطية لديها من مجموع أنشطتها متجاوزاً النسبة الموافقة لها لدى الفئة الأولى. ولكن الاستنتاج العام يظل قائماً على القول إنّ أكثر الجامعات نشاطاً ضمن الأنشطة العامة هي على العموم أكثرها نشاطاً في مجال الديمقراطية.

٢ ـ التحليل النوعي لحضور الديمقراطية في الأنشطة المدنية للجامعات العربية

يبيّن الجدول الرقم (٧) أن ثماني جامعات من بين ست وثلاثين جامعة عربيّة «تحتكر» سبعة أعشار الأنشطة العامّة وسبعة أعشار الأنشطة في مجال الدّيمقراطيّة. والجامعات التي «تحتكر» تلك النّسبة الغالبة كلّها جامعات مشرقية باستثناء جامعتيْ البحرين والكويْت الخليجيتيْن. ونلاحظ أنّ الفئتين (٤ و٥) تجمعان كل جامعات المغرب العربيّ الثّماني المعدودة ضمن العيِّنة وبقيّة مكوناتها من الجامعات الخليجيّة أي أربع عشرة من بين ست عشرة في حين لا يمثُل في الفئتين إلا نصف الجامعات المشرقية المعدودة ضمن العيِّنة أي ست من بين اثنتي عشرة.

ولئن كان من العسير اعتبار متغير الانتماء إلى منطقة جغرافية محدّداً في مدى علاقة الجامعة بالديمقراطية فإن في الاستنتاجات الأخيرة تأكيد إضافي لضعف علاقة جامعات منطقتي المغرب والخليج العربيّين بالدّيمقراطيّة لا في مستوى الخطاب فحسب، بل وكذلك في مستوى الأنشطة. لا يعود الأمر إلى مجرد انتماء جغرافي فحسب، بل إلى هيمنة أنظمة تعليمية معيِّنة في كل منطقة محددة وعلى الأخص من حيث علاقة الجامعة ونظامها التعليمي بالسلطة السياسية ومدى استقلال الأولى عن الثانية.

تحتكر الجامعات الأميركيّة بكل من بيروت والقاهرة والكويت «لوحدها» نصف السّبعة أعشار الأنشطة المقامة في مجال الديمقراطية من قبل الجامعات العربية ذات الأنشطة الكثيفة ومتوسطة الكثافة وهو ما يعادل (٣٣,٤٨ بالمئة) من أنشطة كل الجامعات العربيّة في مجال الدّيمقراطيّة. كما نلاحظ أن ثلاثة من بين الجامعات الثّماني الأكثر نشاطاً (= ٣٧,٥٠ بالمئة)، حكوميّة في حين تغلب الجامعات الخاصّة ضمن الجامعات العربية الأكثر نشاطاً في مجال الدّيمقراطيّة.

وبالعودة إلى أعمار جامعات الدراسة نلاحظ التالي:

الجدول الرقم (٨)
جامعات الفئات الثلاث الأولى من حيث جيل التأسيس وكثافة حضور دلالات الديمقراطية في الخطاب ونوعية النظام التعليمي

الجيل الذي تنتمي إليه الجامعة	الجامعة وتاريخ تأسيسها وقطاعها	مدى كثافة حضور الدّيمقراطية في خطابها	نظامها التعليمي
الجيل الأول (قبل حلول القرن ٢٠)	الأمريكية بيروت (١٨٦٦)، خاصة	متوسط	تحرري
	القديس يوسف (١٨٧٥)، خاصة	متوسط	تحرري
الجيل الثاني (النصف الأول من القرن ٢٠)	بغداد (١٩٠٨)، حكومية	متوسط	-
	القاهرة (١٩٠٨)، حكومية	ضعيف	-
	الأمريكية بالقاهرة (١٩١٩)، خاصة	كثيف	تحرري
الجيل الثالث (الربع الثالث من القرن ٢٠)	بيرزيت (١٩٥٣)، خاصة	متوسط	تحرري
الجيل الرابع (الربع الأخير من القرن ٢٠)	البحرين (١٩٨٦)، خاصة	ضعيف جداً	-
الجيل الخامس (بدايات القرن ٢١)	الأمريكية بالكويت (٢٠٠٤)، خاصة	ضعيف جداً	تحرري

ليس في الجدول ما يدفع إلى الجزم بالربط التفسيري بين عراقة الجامعة أو طول عمرها وبين كثافة أنشطتها الديمقراطية، ولكن الأمثلة الثمانية المعروضة توحي بوجود أثرٍ ما. تاريخياً، معظم الجامعات الخاصة أنشئ حديثاً في البلدان العربية (ما عدا الأميركية واليسوعية في لبنان والأميركية في القاهرة)، ومعظم الجامعات الحكومية يعود إلى ما قبل العام ١٩٩٠.

وعلى هذا من المحتمل أن تكون جامعات القطاع الخاص ذات توجه حاسم نحو السّوق بما يمكن أن يؤدّيَ إلى تضحيتها بالمدني في برامجها والديمقراطي في أنشطتها. ولذلك لم تنجلِ المعطيات الواردة في الجدول الرقم (٨) على ارتباط حاسم بين متغيرَيْ عراقة الجامعة عُمُراً وكثافة أنشطتها في مجال الديمقراطية. ولكنّ التّلازم الطردي بين متغيرات ثلاثة هي قِدَم الجامعة وانتماؤها إلى القطاع الخاص وتحرّرية نظامها التعليمي من جهة وكثافة حضورَ الديمقراطية في خطابها من جهة ثانية اتجاه عام لا يمكن إنكاره وإن لم يبدُ حاسماً بصورة قطعية. أما نوعية الأنشطة التي تقيمها الجامعات العربية فيمكن إجمالها على النحو التالي:

الجدول الرقم (٩)

أنواع الأنشطة في مجال الديمقراطية

نوع النشاط	رقم نوعيته	عدد الأنشطة	نسبتها إلى مجموع الأنشطة في مجال الديمقراطية (بالمئة)
ندوة	١	٩٠	٤١,٢٨
مؤتمر علمي	٢	٣١	١٤,٢٢
ورشة عمل	٣	١١	٠٥,٠٥
معرض	٤	٥	٠٢,٢٩
نشاط	٥	٥٦	٢٥,٦٨
انتخابات	٦	١٥	٠٦,٩٠
احتجاج	٧	١	٠٠,٤٦
مسابقة	٨	١	٠٠,٤٦
رحلة	٩	٢	٠٠,٩١
غير ذلك	١٠	٦	٠٢,٧٥
المجموع		٢١٨	١٠٠

نسجّل أن أكثر من نصف الأنشطة تعتمد صِيَغاً تنظيميّة «تقليديّة» أكاديميّاً (نَوْعَا النّشاط الأوّلان في الجدول) وبما مجموعه (٥٥,٥ بالمئة) منها. ويجمع هذا التعداد الندوات العلمية حول الديمقراطية بالمعاني التي جردنا وكذا ما يعقد حول ذات الموضوع من مؤتمرات علمية. يتجسد ذلك في أمّا الصّيغ التّنظيميّة المنفتحة على مشاركات أوسع ومبادرات أكثر قاعديّة وتشاركية وفي نفس الوقت أكثر قرباً من ممارسةٍ فعليّةٍ للديمقراطية (الأصناف من ٣ إلى ٨ في الجدول) فهي تمثل (٢٠ بالمئة).

وتشمل الأنشطة الأقرب إلى دلالة الدّيمقراطيّة بمعنى لفظها بوصفها تمثيلاً الانتخابات الطلابية لاتحاداتهم أو نواديهم أو جمعياتهم أو الانتخابات الأستاذية للإشراف على الأقسام أو على المجالس العلمية أو لإدارة مختلف الجمعيات العلمية والمهنية والاجتماعية التي ينخرطون فيها في علاقة بنشاطهم الجامعي، وصولاً إلى انتخاب أعضاء جمعيات الأولياء (الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠١٢).

وتجسد الأنشطة الأقرب إلى دلالة الديمقراطية في معنى لفظها بوصفها احتجاجاً نسبة (٠٧,٣٦ بالمئة) من مجموع أنشطتها الجامعية كما في أمثلة إمضاء العرائض ومطالب تغيير القرارات التي ترد على الأخص من جانب الطلاب فضلاً عن وقفاتهم الاحتجاجية واعتصاماتهم أمام مباني مقار القيادات الجامعية في المعاهد والكليات أو على مستوى الجامعات عامة. وتتطابق هذه النسبة الأخيرة مع نسبة الأنشطة المقامة على صيغة معارض وورشات عمل (٠٧,٣٤ بالمئة). وهذه الأنشطة هي التي يفترض فيها أن تفتح أكثر من غيرها أبواب المناقشات الّتي تتمّ فيها ممارسة الحرّية وحرّية التعبير، وأن تضمن مستويات عالية من المُشاركة وأن تزيد فرص قيام فضاء عامٍّ جامعيّ.

وتغيب مرّة أخرى دلالة الحرّية الأكاديميّة إلّا في «ما يفترض» أن تتوافره المؤتمرات والندوات العلمية والبحثية من اختيار حرّ، ومن دون تدخّل سلطة غير السّلطة العلميّة، للمواضيع ولأساليب تطوير البحوث وإعلان نتائجها واستثمارها، وفتح الباب أمام مختلف المشاركين أصنافاً وتخصّصات ومراتب وانتماءات مدرسيّة وسياسيّة وفكريّة واعتقادية... ونلاحظ أن إفراز فضاء جامعيّ عامّ بوصفه معنى من معاني الديمقراطية في الممارسة، وعلى الرّغم من حضوره الدال في الخطاب الجامعيّ، لا يتوافر على ما يناسب تأسّسه وبناءه واضطلاعه بأدوار في تقويم أداء السلطة الجامعية القائمة وبناء سلطة مضادّة.

وقد تُلقي نظرة على الجهات المنظّمة للأنشطة الدّيمقراطيّة أضواء إضافيّة على كيفيّة تجسّد مختلف معاني الدّيمقراطيّة في الممارسات التي تتم داخل الفضاء الجامعي.

الجدول الرقم (١٠)
طبيعة الجهات المنظّمة للأنشطة الدّيمقراطيّة

الجهة المنظمة	رقمها	عدد الأنشطة التي نظمتها	المرتبة بين المنظمين	ملاحظات
الجامعة	١	٦٤	١	مجموع الأنشطة في هذا الجدول ٢٣٧ ويُفسّر ذلك باشتراك أكثر من جهة منظمة في النشاط الواحد
الكلية	٢	٣٥	٤	
القسم	٣	١٥	٦	
وحدة غير تعليمية	٤	٣٨	٣	
نادٍ	٥	٥	٨	
الأساتذة	٦	٢	٩	
مركز أبحاث تابع للجامعة	٧	٤٤	٢	
الطلاب	٨	١٢	٧	
غير محدد	٩	٢٢	٥	
أنشطة بالتعاون	١٠	٤٠	**٤٠ (١٨,٣٤ بالمئة من مجموع الأنشطة في مجال الديمقراطية)**	

يدلّ ترتيب الجهات المنظّمة للأنشطة الدّيمقراطيّة على أنّ من يمسك بزمام أمر تنظيمها هو القيادات الجامعيّة وعلى الأخصّ من هو على أعلى هرم المسؤوليات التسييريّة في حين هي أنشطة يفترض أن تقوم على أوسع مشاركة قاعدية ممكنة. الجهة الثانية في مراتب مسؤولية تنظيم الأنشطة الديمقراطية هي مراكز الأبحاث التابعة للجامعات وهو ممّا يُسجّل بتثمين من حيث علاقته بإبراز المسؤولية المدنية للجامعة ولمختلف هياكلها تجاه ترسيخ الديمقراطية دَلاَلَةً في الأفهام وممارسةً في الأفعال. ويتجسد ذلك على الأخص في المؤتمرات العلمية والندوات والأنشطة البحثية الشبيهة. إن هذه الأنشطة مزدوجة التعلق بالديمقراطية من حيث فتحها النسبي على الأقل لمجال المناقشة بما يجسد الحرية الأكاديمية مثلاً، ويسمح بالتداول والمناقشة وتقارع الآراء من جهة ومن حيث تداول المشتركين فيها في مواضيع هي من صميم المسألة الديمقراطية في معناها المجتمعي عامة.

ومن الأمثلة التي تجسد ذلك ندوات علمية، محلية ودولية متعددة الألسن والاختصاصات الدولية دارت أشغالها حول «الحرية والديمقراطية والدين» (وحدة بحث بكلية الحقوق بجامعة تونس المنار، تونس، ٢٠١٢)، جائزة «حرية التعبير» الصحفية (مجلة **أكاديميا** الصادرة عن جامعة منوبة، تونس، ٢٠١٣)، ومؤتمر «مستقبل الحياة السياسية» من تنظيم

«مركز بحوث الشرق الأوسط» (جامعة عين شمس، مصر، ٢٠١٣)، والمؤتمر العلمي الدولي الثالث حول «الديمقراطية والربيع العربي» (مركز أبحاث بجامعة ٦ أكتوبر، مصر، أيار ـ مايو ٢٠١٢)، وندوة «المشاركة السياسية في منطقة الشرق الأوسط » (١١ ـ ١٢ ـ ٢٠١٣، الجامعة اللبنانية بالتعاون مع بعثة الاتحاد الأوروبي في لبنان)، أو ندوة «معنى الديمقراطية في الكويت» (١٨ ـ ٢ ـ ٢٠١٤) من تنظيم «مركز دراسات الخليج» بالجامعة الأمريكية بالكويت... إلخ. ولكن ارتباط تلك المراكز البحثية بمراكز القرار التسييري والإداري في الجامعات يزيد احتمال اتّصافها بسمات المركزية والفوقيّة والبيروقراطيّة ... أي بما يكون على تعارض مع صيغ الديمقراطية التشاركية.

أما الوحدات غير التعليمية المرتبة ثالثاً في الجدول الرقم (١٠)، فهي ما يكون من مكونات الهيكل الجامعي ولكن خارج الأقسام التعليمية وما يتشكل منها من كليات ومعاهد بهرمياتها التعليمية المعتادة. ويمكن أن تكون تلك الوحدات مثلاً عمادات شؤون الطلاب وإداراتها المختلفة أو ما يتخذ أحياناً، كما في تونس، تسميات من قبيل «ديوان الخدمات الجامعية» الذي يشرف على «المراكز الثقافية الجامعية»... ومن بين أنشطتها مثلاً «يوم الديمقراطية» الذي انتظم (٢١ ـ ١١ ـ ٢٠١٣) ببادرة من «مصلحة الحياة الطلابية والإدماج المهني» بالجامعة اليسوعية ببيروت (لبنان)، أو «ورشة تنمية ثقافة اللاعنف» (٨ ـ ١٢ ـ ٢٠١٤) من تنظيم عمادة شؤون الطلاب بالجامعة الأردنية الحكومية (عمان).

وإذا ما اقتصرنا على الأنشطة التي ينظمها الطلاب أنفسهم من خلال الهياكل التي يتحكمون بها مباشرة داخل الجامعة، نلاحظ كما هو مبين في الجدول الرقم (١٠)، أنهم يحتلون المرتبة السّابعة على سُلّم تحمل مسؤولية التنظيم أي ما قبل الأخيرة بمرتبتين، ويحتل الأساتذة المرتبة التاسعة أي الأخيرة. أما المستخدمون والموظفون والعملة... ففيابهم تامّ بما يؤكدّ سمات ممارسة الأنشطة ذات العلاقة بالدّيمقراطيّة في الجامعات العربية من حيث ضعفُ علاقتها بدلالتَي المشاركة والفضاء العام. ولكن، يدلّ بلوغ الأنشطة الديمقراطية المُقامة في نطاق التّعاون مع هياكل ومؤسّسات من محيط الجامعة الاقتصادي والاجتماعي والثقافي مستوى قريباً من خُمُسِ عددها الجُملي (١٨,٣٤ بالمئة) أنّها أنشطة مُناسِبة لانفتاح متبادل بين الجامعة وبيئتها الحاضنة.

إن الانتقال من بحث مدى حضور الدّيمقراطية في خطاب الجامعات العربية مَبْنًى ومَعْنًى إلى بحثه في الأنشطة فهْماً وممارسةً نَقَلَنَا إلى ضمور أكبر في الحضور وإلى التباس أكثر في الدلالات وإلى تعدّد أكبر لمداخل «النقض العملي» لتلك الدلالات. وقد صحّ ذلك على مستوى الجهات المسؤولة عن تنظيم الأنشطة كما على مستوى طبيعة الأنشطة ذاتها ومدى ملاءمتها لتكوّنِ سياقٍ مؤسسيٍّ للتدرّب الفعلي على الإكثار من فرص تَوَلُّدِ السلط(ة) المضادّة ومقارعتها للسلطة(ات) الجامعية القائمة ناهيك بمقارعة السلطة السياسية في معناها العام.

الجدول الرقم (١١)
تناسب كثافة الأنشطة وكثافة الخطاب في مجال الديمقراطية لدى الجامعات العربية

الجامعة		عدد الأنشطة في مجال الديمقراطية	حضور الديمقراطية في الخطاب
١	تونس المنار	٣	منعدم
٢	صفاقس	١	منعدم
٣	منوبة	٢	منعدم
٤	ESPRIT	٤	منعدم
٥	القاهرة	١٢	ضعيف
٦	عين شمس	٤	كثيف
٧	الإسكندرية	١	كثيف
٨	قناة السويس	٤	متوسط الكثافة
٩	جامعة أسيوط	٦	كثيف
٩	الازهر	٠	ضعيف
١٠	AUC	١٩	كثيف
١١	جامعة ٦ أكتوبر	٣	منعدم
١٢	اللبنانية	٣	ضعيف
١٣	AUB	٤٧	متوسط الكثافة
١٤	سيدة اللويزة	٣	ضعيف
١٥	اليسوعية	١٧	متوسط الكثافة
١٦	جامعة الكويت	٩	ضعيف
١٧	AUK	٧	ضعيف جداً
١٨	السعدي	٢	كثيف
١٩	الحسن الثاني	٠	ضعيف جداً
٢٠	الجزائر	٠	منعدم
٢١	وهران	٢	منعدم

يتبع

تابع

٢٢	الأردنية	٥	كثيف
٢٣	عمان الأهلية	٢	ضعيف جداً
٢٤	بغداد	٢٠	متوسط الكثافة
٢٥	بيرزيت	٢٢	متوسط الكثافة
٢٦	جامعة البحرين	٨	ضعيف جداً
٢٧	الأهلية ـ البحرين	٠	ضعيف جداً
٢٨	السلطان قابوس	٠	ضعيف
٢٩	الملك سعود	٣	ضعيف جداً
٣٠	الأميرة نورة	٢	ضعيف جداً
٣١	الأمير سلطان	٠	ضعيف
٣٢	قطر	٣	متوسط الكثافة
٣٣	الإمارات	٢	ضعيف جداً
٣٤	أبو ظبي	١	منعدم
٣٥	صنعاء	١	منعدم
المجموع ـ النسبة العامة		٢١٨	

يثبت الجدول أن ثمة حالات تنافر بين حضور الديمقراطية في الخطاب وكثافة الأنشطة الديمقراطية وذلك من حيث الكثافة النسبية للخطاب مقابل ضعف عدد الأنشطة (حالات الأردنية، السعدي، الإسكندرية، الأزهر بدرجة أولى، وقناة السويس والسلطان قابوس والأمير سلطان وقطر بدرجة ثانية).

كما يثبت الجدول وجود تناسق بين مدى كثافتي الخطاب والممارسة وذلك على وجهين: الوجه **الأول** تناسب بين ضعف حضور الخطاب حول الديمقراطية وصولاً حتى انعدامه من جهة وضعف الأنشطة الديمقراطية من جهة ثانية (حالات المنار، صفاقس، منوبة، Esprit، ٦ أكتوبر، الجزائر، وهران، أبو ظبي، صنعاء)؛ والوجه **الثاني** تناسب بين كثافة حضور الديمقراطية في الخطاب وكثافة الأنشطة الديمقراطية (حالات الأميركية بيروت، والأميركية القاهرة، اليسوعية بدرجة أولى، ثم بغداد، بيرزيت والقاهرة بدرجة ثانية).

خامساً: الدّيمقراطيّة في مناهج الجامعات العربية ومقرّراتها

عمل فريق تجميع المعلومات على عناوين المناهج ومحتوياتها في كلّ جامعةٍ على حِدَةٍ لشهادات ما قبل الدكتوراه، وتمّ تحويل المعلومات إلى معطيات إحصائية. مجموع الجامعات المرصودة برامجها اثنتان وثلاثون جامعة حيث تعذّر أحياناً الحصول على المعلومات المطلوبة (الأزهر، جامعتا الجزائر، جامعتا المغرب... ولكنّ تمّ الحصول على مناهج جامعة محمّد الأول من المغرب للتعويض). اتّبع بناء المعطيات الخاصّة بالمناهج مَنْطِقاً يقوم على وجود مؤسّسات تعلّم الإنسانيّات والاجتماعيّات ويفترض فيها أنّها أقرب إلى البرامج المدنيّة التي يُفترض أنها تحوي المقرّرات ذات الصّلة الأوثق بمسألة الدّيمقراطيّة. وبالتدرّج من العامّ إلى الخاصّ، يعتمد التحليل نسبة مؤسّسات الإنسانيّات والاجتماعيّات من العدد الجمليّ لمؤسّسات الجامعات العربيّة مُروراً بنسبة البرامج المدنيّة من البرامج الكلّية انتهاءً بحضور الدّيمقراطيّة فيها. في هذا المستوى من التحليل السؤال هو: كيف تُظهِر هذه البرامجُ والمقرراتُ وما يُسند إليها من ساعات تدريسٍ وأرصدةٍ الدّيمقراطيةَ في مناهج الجامعات العربيّة؟

إحصائياً، أمكن وضع ترتيبات مختلفة للجامعات العربية من حيث حضور نسبة كليات الإنسانيات والاجتماعيات للعدد الجملي للمؤسسات، ونسبة البرامج المدنية من كل البرامج، ونسبة الديمقراطية من البرامج المدنية من حيث الكثافة وعدد الساعات والأرصدة. تواتر في الترتيبات المختلفة ظهور عدد من الجامعات ضمن المراتب الخمس أو العشر الأولى مهما كان المؤشر الذي نعتمده. ولكنه ظهور يتسم بعدم التناسق بحيث يتصاعدُ ليتنازل ترتيب جامعة ما كلّما مَرَرْنا من مؤشر إلى آخر. ويُظهر ذلك أن الجامعات العربية لا تؤسّس مناهجها على سياسة مدنية موضوعة بوعي وتصميم بحيث يتساوق فيها ثقل مؤسسات الإنسانيات والاجتماعيات مع تكاثر البرامج المدنية وتنوّعها وحضورها المتعيّن في الاختصاصات المختلفة ومع إسناد أرصدة تحفيزية لتلك البرامج تكفل لها من «الصيت» عند الطلبة ما يجعلها محوراً لاهتمامهم الدّراسي وربّما العملي جهداً وتوقيتاً وأداءً. وتأكيداً لذلك تخبرنا الإحصاءات أن من بيْن برامج الديمقراطية برامج مفردة (برنامج واحد في الديمقراطية، جامعة بيرزيت) تتجاوز نسبة أرصدتها من أرصدة كل البرنامج المدني ما تمثله نسبة أكثر من برنامج واحد (برنامجان في الدّيمقراطية، جامعة صفاقس).

الجامعات العربية التي تقدم برنامجاً دراسياً مخصوصاً في الديمقراطية لا يتجاوز عددها ثمانية وهي صفاقس (تونس، برنامجان) والأميركية بالقاهرة (مصر، برنامجان)، والأردنية (الأردن، برنامجان) والقاهرة وأسيوط و٦ أكتوبر (مصر) واليسوعية (لبنان) وبيرزيت (فلسطين) ببرنامج واحد لكل منها. بحيث يكون مجموع برامج الديمقراطية أو التي تحوي مقررات عن الديمقراطية في كل الجامعات العربية المشمولة بالدراسة أحد عشر (١١) برنامجاً. ثمّة إذاً ضمور واضح في برامج الديمقراطية التي تكاد تُختزل في

درس لحقوق الإنسان. مع الملاحظ أن المؤسّسات المؤمّنة للتعلّمات الطبّية والهندسيّة والعلميّة الطبيعية ولعلوم الإعلامية... هي التي تشهد أعلى نسب غياب البرامج المدنية ومن ثم البرامج المخصصة للديمقراطية[٥٧]. وقد أثبتت الإحصاءات أن المراتب الأولى لإقرار الديمقراطية ضمن البرامج تعود على الأغلب إلى جامعات تحرّرية هي على الغالب أيضاً جامعات ذات سمة إنسانية واجتماعية تراوح بين الغالبة والفارقة.

تفصيلياً، يوجد أحد عشر برنامجاً تتعلق بالديمقراطية من أصل ٥,٨٨٢ برنامج توفرها الاثنان وثلاثون جامعة قيد البحث، أي ما لا يمثل إلا ٠,٣ بالمئة فقط. وهي غائبة كلياً في أربع وعشرين جامعة. أما الإحصاء الخاص بالمقررات (University sheet) فيخبرنا أن هناك ١٤٨٤,٢٥ رصيداً في مناهج الجامعات المدروسة مسندة لمقررات عن الديمقراطية (من أصل ٦٧٨,٦٢٠,٦ هي مجموع أرصدة الجامعات المدروسة) أو ما لا يشكل إلا ٠,٢ بالمئة من الأرصدة الجملية لكل البرامج والمقررات، فيما ترتفع النسبة فوق ٠,٥ بالمئة في أربع جامعات هي: الكويت (١,٣ بالمئة)، الأميركية في بيروت (١,١ بالمئة)، صفاقس (٠,٩ بالمئة)، والأميركية في القاهرة (٠,٨ بالمئة).

لا مناص، والحال تلك، من الوقوف على استنتاج عام مَفَادُهُ أنّ موضوع الديمقراطية غيرُ ذي أهمّية في مناهج الجامعات ومقرراتها وبرامجها أو أن الديمقراطية ليست من المقررات التي تحرص الجامعة على تدريسها.

خاتمة

على وقع المرور من الخطاب حول الديمقراطية في الجامعات العربية إلى الأنشطة المتعلقة بها وصولاً إلى حضورها في المناهج ظلت الأقسام التحليلية المتتالية تنتقل في اتجاه معطيات أقلّ فأقلّ غزارة وأقلّ فأقلّ دلالة. لقد وقفنا في القسم الأول على أنه كلّما كنا في جامعة عريقة (ذات عمر يفوق الخمسين سنة) وتحررية في نظامها التعليمي وموجودة على الأغلب في المشرق العربي (مصر ولبنان وفلسطين والأردن) كنا أقرب إلى خطاب جامعي في الديمقراطية واضح وحاسم وذي صبغة استراتيجية. ويمكن أن نضع ذلك على عاتق يُسر التلفظ بالخطاب من دون الانتقال إلى ما هو عملي فعلي. ولكن هذا لا يمنع القول إن خطابات الجامعات العربية يسّرت لنا التعرّف إلى مُحفّزين للديمقراطية ومثبّطين لها، لا فقط من داخل الجامعة بل ومن خارجها كذلك.

(٥٧) كررت مديرة المعهد العالي للتكنولوجيات الطبية بتونس، التابعة لجامعة تونس المنار، أكثر من مرة في أجوبتها عن الأسئلة المتعلقة بالأنشطة الطلابية التي يمكن إدراجها ضمن دلالات الديمقراطية، أن المجال مفتوح ولكن الطلبة بعيدون عن ذلك إذ هم يدرسون «مواد علمية دقيقة». وكانت تلك هي الحجة أيضاً في ما يهم تقديرها لتوفر أسس الحريات الأكاديمية... انظر، في غير هذا الموضع، نتائج العمل الميداني المدرج ضمن المشروع البحثي الذي تولته الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية والذي ينجرد فيه مقالنا هذا.

ففي بعض أصنافٍ من الخطابات، بدت قيادات الجامعات وأعضاء الهيئة التعليمية والإطار التسييري الإداري من الفاعلين المحفّزين للديمقراطية من خلال الهيئات القائمة داخل الحرم الجامعي مُكوّنةً لنسيج جمعياتي متفاعل[٥٨]. كما برز من بين الفاعلين المحفّزين للدّيمقراطية في بعض خطابات الجامعات «شركاء القطاع الخاص»[٥٩]، و«منتخبو البلديات»، وهيئات «المجتمع المدني» المختلفة [٦٠]، وبُنى «المجتمع المحلّي» في إشارة إلى قوى انتظام جَمَاعَاتي مَدَنيّ محفّزة لصيغ تسمح ببناء نظام ما من السّلطات والسّلطات المُضادّة فيً الجامعة **أوّلاً**، وبين الجامعة وبيئتها الاجتماعية **ثانياً**.

ولكن، وفي ذات المؤسّسة الجامعيّة الّتي تحتضن محفّزي الممارسة الدّيمقراطية التّداوليّة والانتخابيّة والتّمثيليّة والمشارِكة والمقرّرة قُوًى مُثَبّطةٌ للممارسة الدّيمقراطيّة. ففي استنتاجات تحليل البيئتين الداخلية والخارجية لكلية الطبّ بجامعة الاسكندريّة مثلاً[٦١] إلحاح على مواجهة «مقاومة سلبية شرسة للتطوير من جانبِ قطاعٍ كبيرٍ من الأساتذة يُصاحب التغيير في القيادات، يزيد من شراستها تخوّفٌ من... المساس بمصالح بعضها...» و«سلبية الكثير من أعضاء هيئة التدريس وعزوفهم عن المشاركة في عملية التطوير ومقاومتهم للجهود المبذولة» فضلاً عن واقع أن «المشاركة الطلابية في عملية اتخاذ القرار لا تزال هامشية»، وأن «القيادات الإدارية لا تؤمن بإعداد جيل ثان مدرّب». كما تقف الاستنتاجات الخاصة بتحليل بعض البيئات الداخلية على «سوء الاتصال بين مكوّنات الأسرة الجامعية».

تُضمر بعض الخطابات الجامعية العربية القول بأن البيئة الاجتماعية الثقافية ليست دائماً محفّزة، إذ قليلاً ما تُبنى الخطابات الجامعية المتناولة لعلاقة الجامعة ببيئتها على فكرة التفاعل مع حاجات المجتمع المحلي والجماعات السكانية المحلية إلا في ما يتعلّق بـ «المشاركة في التنمية». في مثل هذا النوع من الخطاب، تعتبر الجامعة نفسها حاملة للمعرفة والخبرة والعلم إلى مجتمع محلّي جاهل، بعيد من المعرفة وغير نام وغير واع بالقدرات التي يختزنها. وكلما صار الخطاب ذا موضوع يتعلق بالطاقات التي يختزنها المجتمع المحلي قلّ الانتباه إلى أشكال التنظّم المواطني التي يمكن أن تشكل نواتات سلطات مضادّة أو على الأقل مُقارِعة للسلطات القائمة، وإن تمّ ذلك فيكون في اتجاه أشكاله التقليدية من «مجتمع مدني»، إلى «نقابات»، و«جمعيات»، و«منتخبين محليين

---

(٥٨) «L'étudiant … est toujours à l'écoute par ses professeurs et administratifs» (Abdelmalek Essadi University (Maroc, étatique), <http://www.uae.ma>.

(٥٩) «Tous les partenaires du secteur privé» (Abdelmalek Essaadi University (Maroc, étatique), <http:// www.uae.ma/>

(٦٠) «les élus communaux et la société civile,» (Abdelmalek Essaadi University (Maroc, étatique), <http://www.uae.ma>

(٦١) الخطة الاستراتيجية لكلية الطب، جامعة الاسكندرية (مصر، حكومية) ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٣ (ملف بي دي آف).

وبلديين». ويبدو ذلك، إلى حد على الأقل، مناقضاً لاتّباع خطط استراتيجية تعتمد التحليل الرباعي لعناصر القوة والضعف والفرص والتهديدات (SWOT)[٦٢].

ووقفت استنتاجاتنا على أننا بقدر تقدمنا في الانتقال من الخطاب إلى الممارسة نكون أقرب إلى ضمور أكبر في حضور الديمقراطية فعلاً والتباس أكبر في دلالاتها وتعدد أكبر لمداخل نقضها عمليّاً. لقد سجلنا أن الأنشطة المكرّسة للدّيمقراطية في الجامعة أو المخَصَّصة لها تتناقص بقدر مرورنا من أعمال يغلب فيها الجانب التنظيري (ندوات، مؤتمرات، مناقشات) إلى أعمال تكون ذات طبيعة حركية مُجدِّدة في الأشكال والصَّيَغ من جهةٍ وأقرب إلى مسؤولية الأساتذة والطلاب والموظفين والعملة من جهةٍ أخرى. وقد افترضنا أنه بقدر تأكّد مركزية الأنشطة المخصّصة للديمقراطية في الجامعات العربية وفوقيّتها وبيروقراطيتها يقل أثرُها الفعليّ في توفير مناخات مُمَكِّنَة لميلاد السّلط(ة) المضادّة للسّلط(ة) القائمة في الجامعات ولنشأة فضاء عموميّ جامعيّ نَشِطٍ ونَاقِدٍ وحَرَكِيٍّ.

في مستوى ثالث وقفت استخلاصاتنا على الضمور إلى حد الغياب للديمقراطية في مناهج الجامعات العربية ومقرراتها ودروسها. قد لا يكون الأمر ناتجاً من تخطيط «مبيّت» ولكن التّخطيط الذي لا شك في انعدامه هو ذاك الذي يخصّ التناسق بين خطابات قيادات الجامعة وانتشار الديمقراطية معنى وسلوكاً وإيتيقا في أنشطة الحياة الجامعية وفي محتويات الدرس. من هذا المنظور تبدو الجامعات العربية التحرّرية والقريبة من التناسق بين الخطاب والفعل ومحتوى التكوين في ما يهم الديمقراطية جُزُراً مجهرية العدد والحجم والنسبة في خِضَمٍّ محيطٍ جامعيٍّ عربيٍّ ليس فيه مجال للديمقراطية بوصفها مكوّناً أساساً لمعنى المسؤولية المدنية للجامعة.

لقد ضربنا في الكثير من الأحيان أمثلة على ما أسميناه تنافراً ملتبساً في موقع الديمقراطية من حياة الجامعة فهي (الديمقراطية) في تلك الأمثلة حاضرة بكثافة في الخطاب ومنعدمة في الأنشطة وهي كثيفة الدلالات ولكنها تأتي رئيسياً على ألسنة كبار مسؤولي الجامعات والماسكين بالسلطة الإدارية فيها، وهي متنوعة الوجوه في الأنشطة ولكن هذه قليلاً ما تُنظّم من قبل الطلاب أو الأساتذة والإداريين...ولكنا وقفنا كذلك على أمثلة للانسجام النّسبي بين الخطاب في الدّيمقراطية من حيث كثافتُه وتوزُّعُه على مواضع كثيرة وبين كثافة الأنشطة الديمقراطية وتنوّع أشكالها وتوزّعها النّسبيّ على فاعلين كُثر متنوّعين انتهاءً إلى إيلاء قدرٍ، قليل، من الأهمّية لمقرّراتٍ بعَيْنِهَا عن الدّيمقراطيّة.

ولكن يمكن القول من دون مجازفة أن ليست ثمّة جامعة تعبّر عن أنموذج يمثّل اهتماماً متأصّلاً بالديمقراطية من جميع النواحي. ففيما ظل الخطاب هو الأكثر «دلالة على الديمقراطية» من بين الأوجه الثلاثة المدروسة لا يمكن تقديم مثال ما من الجامعات العربية على أنه أنموذج وعلى الأخص في ظل عدم تحليل قضايا أخرى ذات علاقة بوجود آليات فعلية لتنظيم ممارسة السلطة والسلطة المضادة مثل أنظمة الجامعات ولوائحها

(٦٢) Qatar University Strategic Plan 2013-2016, a 38 pages PDF.

ومجريات ما تعيشه فعلياً في إدارة الحريات الأكاديمية مثلاً وما إلى ذلك. وعلى ذلك، ليس لنا إلا أن نقف على أن «أبلغ» ما عبّرت به الجامعات العربيّة عن الدّيمقراطيّة كان هو الخطاب ولكن تفاصيل تحليلنا تدفع إلى الشك في أنّه «أبلغ» ما يمكن أن يُصَوِّرَ قِيَم الجامعة أو يعكس فعلاً «مناخاتها».

ولكن أوضح ما يمكن أن تقف عليه هذه الدراسة هو أننا لم نجد ما يمكن أن يجسّد فعلياً المفهوم الإجرائي للدّيمقراطية الجامعيّة الذي اعتمدناه في معنى تتوافر تقعيد قانوني عُرْفِيٍّ أو مكتوب يضمن وجوداً فعلياً داخل الجامعة لنظام صريح ومتكامل من السّلطات والسّلطات المضادّة يسمح بأوسع مشاركة ممكنة، داخلاً وخارجاً، لكلّ ذوي المصلحة في إدارة الشأن الجامعي بكلّ مكوّناته من جهة وفي إدارة العلاقة بين الجامعة وبيئتها الاجتماعية في معناها الأوسع من جهة ثانية. وليست تظهر القيمة الفعلية لهذا الاستنتاج إلا في منظور إسقاطه على مستقبل ما سيكون عليه تصوّر الديمقراطية في الجامعات العربية خطاباً وممارسة وتدريساً في ظرف يمكن أن يصّاعد فيه النزاع الاجتماعي حول الجامعة عند العرب ضمن سياق تاريخي تزداد فيه الحدود انفتاحاً على عوْلمةٍ عاصفةٍ. وليس من تأكيدٍ أبلغ لذلك من أن انفتاح الحركات الاحتجاجية المطلبية التي كانت العديد من الأقطار العربية مسرحاً لها خلال السنوات الخمس الأخيرة قد فتّحت الأبواب على مَصَارِيعِها نحو تغيّر اجتماعي يزداد، كل يوم تقريباً، شُمُولاً واتِّسَاعاً على وقع ازدياده سُرْعَةً وعُمْقَاً وحِدَّةً.

المراجع

آصف، بيات (٢٠١٤). **الحياة سياسة.. كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط؟**. ترجمة أحمد زايد. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

الأمين، عدنان (٢٠١٤). «المسؤولية المدنية للجامعة.» **مجلة الدفاع الوطني اللبناني**: العدد ٩٠، تشرين الأول/أكتوبر، ص ٤ ـ ٥٤.

الأمين، عدنان (محرر) (٢٠١٠). «نحو فضاء عربي للتعليم العالي: التحديات العالمية والمسؤوليات المجتمعية.» ورقة قدمت إلى: **أعمال المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي**. بيروت: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.

بدري بابكر، أميرة (٢٠١٥). «إدراك الشباب ورؤاهم حول المسؤولية الاجتماعية: دراسة ميدانية لطلاب وطالبات جامعة الملك عبد العزيز.» **إضافات**: العددان ٢٩ ـ ٣٠، شتاء ـ ربيع، ص ٢٧١ ـ ٢٩٣.

تأملات في مستقبل التعليم في المنطقة العربية خلال العقدين، ١٩٨٠ ـ ٢٠٠٠. بيروت: التربية الجديدة، مكتب اليونسكو الإقليمي في البلاد العربية، ١٩٨١.

حسين، طه (١٩٣٤). «الجامعة المصرية في عالم الحرية: بطل من أبطال الديمقراطية الحديثة.» **المصور**: ١١ أيار/مايو.

الحسيني، محمد (٢٠١٢). **تعزيز المفاهيم الديمقراطية في مشاركة الطالب في الجامعات**. عمّان: مؤسسة فريدريش إيبرت.

خلف، عمر محمد (١٩٨٦). «ديمقراطية التعليم العالي في الدول العربية.» **مجلة اتحاد الجامعات العربية**: العدد ١٢، آذار/مارس.

الريعي، أحمد (١٩٩٧). «الحرية الجامعية والهوية الثقافية.» (نـدوة). **المجلة العربية للعلوم الإنسانية:** السنة ٥٨، العدد ١٥.

السعيداني منير. «الديمقراطية في الجامعة التونسية.» <http://www.opentech.me/~laes/upload/editor_upload/file/Paper-03-Mounir-Saidani-Democracy-in-Tunisian-University.pdf>.

السلس، بشار عبد الله وعليمات منيزل محمد (٢٠١٠). «قياس مستوى الأداء الديمقراطي لدى طلبة كلية التربية بجامعة اليرموك.» **مجلة جامعة دمشق:** السنة ٢٦، العددان ١ ـ ٢.

سورطي، يزيد عيسى (١٩٩٨). «السلطوية في التربية العربية: المظاهر والأسباب والنتائج.» **المجلة التربوية.**

عودة، بسمة رحمان، وكاظم طالب عبد الكريم (٢٠٠٩). «مظاهر الحياة الديمقراطية الجامعية من منظور طلبة جامعة القادسية كلية الآداب أنموذجاً.» **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية:** السنة ٨، العدد ١.

ماريون، لويد، وروسو هينك، ولينتش سارة (٢٠١٤). **تحقيق التوازن بين الأمن والحرية داخل الجامعات. دراسة حالة لثلاث دول. الصراع بين الحفاظ على أمن الجامعات ودعم حق الطلاب في حرية التعبير في الدول التي تمر بمراحل انتقالية: البرازيل، وجنوب إفريقيا، وتونس.** تحرير ديفيد ويلر. القاهرة: وقف الإسكندرية ومؤسسة فورد في القاهرة.

مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني (٢٠١٢). **وثيقة مشروع بناء القدرات الديمقراطية لمجالس الطلبة في الجامعات**، عمان.

منتدى الحوار الإلكتروني حول قياس الحريات الأكاديمية في جامعات المنطقة العربية، **إعلان بغداد ـ عمان للحريات الأكاديمية في الجامعات العراقية**، صدر في عمان بتاريخ، ١١ محرم ١٤٢٧هـ، الموافق ١٠ شباط/فبراير ٢٠٠٦م، <http://achrs.org/maf/index.php/typography/144-2013-08-07-08-59-25>

النعيمي، ليلى أحمد عزت والدلوي نبأ عبد الحسين [د. ت.]. «اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو الديمقراطية»، **مجلة البحوث التربوية والنفسية** (جامعة بغداد): العدد ١٧.

وطفة، علي أسعد (١٩٩٣). «التفاعل التربوي بين الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة: موازنة بين آراء طلبة جامعتي الكويت ودمشق.» **مجلة اتحاد الجامعات العربية:** العدد ٢٨، كانون الثاني/يناير.

وطفة، علي أسعد والشريع سعد (١٩٩٩). «الفعاليات الديمقراطية ومظاهرها في جامعة الكويت: آراء عيِّنة من الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية في مستوى الأداء الديمقراطية لجامعة الكويت.» ورقة قدمت إلى: **الديمقراطية والتربية في الوطن العربي: أعمال المؤتمر العلمي الثالث لقسم أصول التربية في كلية التربية ـ جامعة الكويت.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

Arikewuyo, Olalekan (2004). «Democracy and University Education in Nigeria: Some Constitutional Considerations.» *Higher Education Management and Policy*: *Journal of the Program on Institutional Management in Higher Education*: vol. 16, no. 3.

Berard, Yann et Renaud Crespin (dirs.) (2010). *Aux frontières de l'expertise. Dialogues entre savoirs et pouvoirs*. Rennes: Presses Universitaires de Rennes, Rennes, (Coll. «Res Publica»)

Blay Michel (2011). *Quand la recherche était une République. La recherche scientifique à la Libération*. Paris: Armand Colin.

Blay Michel (2012). *Les Ordres du Chef. Culte de l'autorité et ambitions technocratiques: le CNRS sous Vichy*. Paris: Armand Colin.

Boyte, Harry C. (2014). *Democracy's Education: Public Work, Citizenship, and the Future of Colleges and Universities*. Nashville: Vanderbilt University Press.

Collins, Harry and Robert Evans (2007). *Rethinking Expertise.* Chicago, IL: University of Chicago Press.

Dacheux, Éric (2013). «Pas de démocratie universitaire sans courage des universitaires.» *Questions de communication*: vol. 23 (mis en ligne le 31 août 2015, consulté le 17 Mars 2015), <http://questionsdecommunication.revues.org/8419>.

Dewey, John (1907). *The School and Society.* Chicago, IL: University of Chicago Press.

Dewey, John (1916). *Democracy and Education*. New York: Macmillan.

Diouf, Mamadou et Mahmood Mamdani (eds.) (1994). *Liberté académique en Afrique*. Dakar, Codesria; Paris: Karthala.

Docherty, Thomas (2011). *For the University Democracy and the Future of the Institution*. Bloomsbury Academic (Published online 29 April 2014, Collections Bloomsbury Open Archive 2008-2012), <http://www.bloomsburycollections.com/book/for-the-university-democracy-and-the-future-of-the-institution>.

Ehrlich, Thomas (ed.) (2000). *Civic Responsibility and Higher Education, American Council on Education*. Westport, CT: Oryx Press, Phoenix.

Favro, Karine (coord.) (2009). *L'expertise: Enjeux et pratiques*. Paris:Lavoisier, (Coll. «Sciences du risque et du danger»)

Gutmann, Amy (1987). *Democratic Education*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Hillygus, D. Sunshine (2005). «The Missing Link: Exploring the Relationship between Higher Education and Political Engagement.» *Political Behavior*: vol. 27, no. 1, pp. 25-47.

Howe, Kenneth R. and David E. Meens (2012). *Democracy Left Behind: How Recent Education Reforms Undermine Local School Governance and Democratic Education*. Boulder, CO: National Education Policy Center.

Jensen, Hans Siggard (2010). *Collegialism, Democracy and University Governance: The Case of Denmark*. EPOKE, Department of Education, Aarhus University, <http://edu.au.dk/fileadmin/www.dpu.dk/forskning/forskningsprogrammer/epoke/workingpapers/WP_15.pdf>.

Jewet, Andrew (2014). *Science, Democracy, and the American University From the Civil War to the Cold War*. Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Kahn, Axel et Valérie Pecresse (2011). *Controverses. Universités, science et progrès*. Paris: NiL éditions.

Kitcher, Philip (2010). *Science, vérité et démocratie.* Traduction par Stéphanie Ruphy. Paris: Presses Universitaires de France.

Lipinski, Marc (2012). *Les Sciences, un enjeu citoyen*. Paris: Les Petits matins.

Maurasse, David (2001). *Beyond the Campus: How Colleges and Universities Form Partnerships with their Communities*. New York: Routledge.

Mbata, André [et al.]. (2005). *Universités et libertés académiques en République Démocratique du Congo*. Dakar: Codesria.

McCall, R. B. [et al.] (2014). «Challenges of University-Community Outreach to Traditional Research Universities: The University of Pittsburg Office of Child Development Experience.» in: Marcel Morabito. *Recherche et innovation: Quelles stratégies politiques?*. Paris: Presses de Sciences Po. (Collection Nouveaux Débats; 36)

National Task Force on Civic Learning and Democratic Engagement (2012). *A Crucible Moment: College Learning and Democracy's Future.* Washington DC: Association of American Colleges and Universities.

Nielsen, Michael (2012). *Reinventing Discovery*: *The New Era of Networked Science*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Nusbaum, Martha C. (2010). *Not for Profit: Why Democracy Needs the Humanities*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010.

Ostrander, Susan A. (2004) «Democracy, Civic Participation, and the University: A Comparative Study of Civic Engagement on Five Campuses.» *Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly*: vol. 33, no. 1, March, pp. 74-93.

Promotion et Défense des Étudiants, Contribution de PDE Groupe de travail «Démocratie étudiante.» Paris, <file:///C:/Users/poste/Downloads/contribution-de-pde-democratie-universitaire-et-representations-etudiantes.original%20(2).pdf>.

Reber, Bernard (2011). *La Démocratie génétiquement modifiée: Sociologies éthiques de l'évaluation des technologies controversées*. Québec: Presses de l'Université Laval.

Simon, Lou Anna K. and Richard M. Lerner (eds.) (1998). *University-Community Collaborations for the Twenty-first Century*. New York: Garland.

Smith, Graham [et al.] (2008). «Teaching Citizenship in Higher Education», *European Political Science*: vol. 7, no. 2, pp. 135-143.

Suderberg, E. (2008). «Deliberative Civic Education and Student Engagement.» (A Doctoral Dissertation), Retrieved from ProQuest Digitals Dissertation, (UMI N° 3317754).

Thompson, D. F. (1972). «Democracy and Governance of University.» *Annals of the American Academy of Political and Social Sciences: American Higher Education: Prospects and Choices*: November, pp. 157-169.

White, Morgan (2013). «Higher Education and Problems of Citizenship.» *Journal of Philosophy of Education*: vol. 47, no. 1, pp. 112-127.

Zeleza, Paul (2003). «Academic Freedom in the Neo-Liberal Order: Governments, Globalization, Governance, and Gender.» *Journal of Higher Education in Africa/Revue de l'Enseignement Supérieur en Afrique*: vol.1, no. 1.